# القضايا المتعلقة بميلاد المسيح ﷺ
# في الكتب المقدسة

إعداد
دكتور/ محمد بن عبد الرحمن العريفي
الأستاذ المساعد بكلية المعلمين بالرياض
جامعة الملك سعود

**مقدمة:**

إن الناظر في حال العالم اليوم ليرى النصرانيه المحرفة وهي تنشر ظلها الثقيل على كثير من بقاعة، ويرى أتباعها وخاصة المنتفعون بنشرها - يبذلون في سبيل ذلك الجهد، والمال، بل وحتى النفوس، وعلى الرغم من تهافت أدلتها وضعف حجتها، إلا أن تفننهم في عرضها، وتلبيسهم على الناس فيما يتعلق بحقيقتها، وتزييفهم الأدلة والبراهين على دعواهم، كل ذلك إذا أضفناه إلى غياب أهل الحق عن الساحة، وعدم التصدي لهذا الباطل بالتفنيد وبيان أوجه البطلان في كل جزيئاته، وبأسلوب مبسط يجمع فيه ما يخص كل قضية - مما كتبه علماء الأمة الإسلامية الأفذاذ الذين نصدوا لباطل النصارى على مر العصور منذ أن أشرق على الأرض نور رسالة محمد بن عبد الله ﷺ حتى اليوم - إذا أضفنا هذا إلى ذاك وجدنا أن الأمر خطير وأن العبأ كبير.

وما يقال عن النصرانية المحرفة، يقال كذلك عن اليهودية المحرفة بل عن جميع صيحات الباطل التي ملأت الدنيا اليوم.

إن النصارى يقولون في مسألة الميلاد عجبا، ولا يطيق مقولتهم فيه عقل، ولا يتسع لها صدر، ولا تقبلها فطرة سليمة. فيبدأون أول ما يبدأون بمحاولات ساذجة في استنطاق ما يسمونه بكتب العهد القديم - أي التوراة وبعض كتب أخرى من كتب اليهود كما يزعمون - محاولين بذلك أن يجعلوا منها أدلة على ما يثبتون من دعاوي باطلة حول ميلاد نبي الله عيسى - عليه السلام - ثم ينتقلون إلى حكايات متضاربة في هذا الميلاد عند من ذكره من أصحاب الأناجيل المحرفة، ثم يأتون بثالثة الأثافي عندما يدعون له نسبا يختلفون فيه، رغم قولهم بأنه ثمرة البشرى التي جاء بها الملاك من الرب سبحانه وتعالى فيظهر التناقض في صورة واضحة لا تحتاج إلى أكثر من إبرازها للأنظار ليتضح لكل ذي

عينين أن الدعوى منهارة من أساسها. ثم يتبع ذلك ما يتبعه من قولهم بالحلول والإتحاد وغير ذلك مما سنعرض له بالتفصيل إنشاء الله.

ثم يأتي الإسلام بالنور الذي يبدد الظلام، ويبين الحق، ويفضح لصوص الفكر، فيعرض قضية ميلاد رسول الله عيسى - عليه السلام - في آيات بينات، يتجلى على إثرها الحق، ويتولى الباطل متواريا، وتعرض القضية في تسلسل لا لبس فيه ولا غموض، وستظل كذلك مشعل نور كلما حملناه تبدد الظلام.

وقد أحببت أن أضع بين يدي المطلع تصورا موثقا لما عليه المسلمون والنصارى واليهود من اعتقاد في قضية ميلاد عيسى - عليه السلام - مع بيان أوجه البطلان عند أهل الباطل، ووجه الحق عند أهل الحق، مبسوطا بالأدلة والبراهين والمناقشة،وسوف نعرض هذه القضية في ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول :قضية الاسم والنسب

المبحث الثاني :قضية الميلاد من غير أب

المبحث الثالث: قضايا الحلول والإتحاد والتجسد

**والله أسأل أن يتقبل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم**

## المبحث الأول

## قضية الاسم والنسب

**أولا:اسم المسيح:**

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد (١) يدل علم المقارنة بين الأديان على شيوع الإيمان بالخلاص وظهور الرسول المخلص في زمن مقبل... وقد يشتد هذا الأمل حين تشتد الحاجة إليه. فكان المصريون الأوائل يترجون المخلص النقذ بعد زوال الدولة القديمة... وقد كان البابليون يؤمنون بعودة " روح " إلى الأرض فترة بعد فترة... وكان المجوس يؤمنون بظهور رسول من إله النور كل ألف سنة يبعث في جسد إنسان وقيل إنه هو زرا دشت رسول المجوسية الأكبر...

إن الإيمان بظهور رسول إلهي يسمى (المسيح) خاصة فلم يعرف بهذه الصيغة قبل كتب التوراة وتفسيراتها أو العليقات عليها في التلمود والهجادا وما إليها. ومرجع التسمية نفسها إلى الشعائر التي وردت في سفر التكوين وسفر الخروج وما يليها من أسفار الأنبياء.. فإن المسيح بالزيت المبارك شعيرة من شعائر التقديس والتكريم، وأول ما ورد في الإصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين حيث روي عن يعقوب أنه " بكر في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عمودا وصب زيتا على رأسه ودعا ذلك المكان بيت إيل.. أي بيت الله ".

وجاء في الإصحاح الثلاثين من سفر الخروج أن الرب كلم موسى قائلا.. وأنت تأخذ أفخر الأطياب، وهنا مقدسا للمسحة، وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والمائدة وكل آنيتهاوالمنارة وآنيتها ومذبح البخور ومذبح المحرقة، وتقدسها فتكون قدس أقداس، وكل ماسها يكون مقدسا وتمسح هارون وبينه وتقديسهم ".

وأما آراء المسلمين في أسباب كون (المسيح) لقبا لعيسى ابن مريم عليه السلام فنذكر أشهرها فما يلي:

---

(١) عباس محمود العقاد: حياة المسيح عيسى بن مريم ، ص ٣٥- ٣٧،دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان ، ب.ت..

الأول: قال ابن عباس إنما سمى عيسى عليه السلام مسيحا لأنه ما كان يمسح بيده ذاعاهة إلا بريء من مرضه.

الثاني: أنه مسح من الأوزار والآثام.

الثالث: سمى مسيحا لأنه كان ممسوحا بدهن طاهر مبارك يمسح الأنبياء به غيرهم ثم قالوا وهذا الدهن يجوز أن الله تعالى جعله علامة حتى تعرف الملائكة أن كل من مسح به وقت الولادة فإنه يكون نبياً.

الرابع: سمى مسيحا لأنه مسحه جبريل ﷺ بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صونا لـــه من مس الشيطان.

الخامس: سمى مسيحا لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن.

وعلى هذه الأقوال يكون المسيح بمعنى (الممسوح)- والله أعلم (١).

وبعد هذا التعريف الموجز لمعنى (المسيح) عند اليهود، وعند المسلمين ننتقل لمعرفة نشأة الفكرة عند اليهود، وأشهرها من لقبوا بها مستعنين بالله عز وجل.

فكرة المسيح المنتظر عند اليهود:

لقى اليهود بعد طالوت وداود وسليمان – عليهما السلام – من الذل والهوان ما جعلهم يعتقدون خطأ أن آلهة الشعوب المجاورة أرادت أن تنتقم من (يهوه) فأذلت شعبه كمـــا أذل هو سلفا شعوبهم.

وهذه بلا شك عقيدة فاسدة خاطئة ثم تطلعوا غير بائسين إلى المسيح الـــذي ســـيكون على يديه خلاصهم مما هم فيه فكان هذا التطلع هو سلوانهم في ليلهم البارد الطويل لكـــن هذا المخلص يبطيء فيوغل في الإبطاء.

وتلوح لهم بارقة أمل بعد أن فرقهم بختنصر عام ٨٦ قبل الميلاد.

وكان بختنصر ملك بابل قد جاس خلال فلسطين ودخل القدس وحمل اليهوذ سبايا إلى بلاده بعد أن اندفعت عرباته الحربية في طرقات القدس ودارت في الشوارع المؤدية إلـــى هيكل سليمان معارك ضارية دامية فر على أثرها بنو إسرائيل لائذين بالصحراء واستسلم الباقون وسقطت المدينة في يد بختنصر فأحرق الهيكل وجمع التوراة وأشعل النـــار فيهـــا

---

(١) الرازي، تفسير الكبير ٨/ ٤٩، دار إيحاء التراث العربي، بيروت ، لبنان ، ب.ت.

وأخذ كل ما في بيت المقدس والهيكل غنيمة له وقاد أسرى إسرائيل ثم تقدم زاحفا إلى يهوذا وسرعان ما جثا اليهود أمامه مستسلمين فقسم سباياهم إلى فرق ثلاث أبقى فرقة منهم بالشام وأغمل السيف في الثانية وحل في قيد الرق إلى بلاده الفرقة الثالثة.

وبذلك قد مرت مملكة اليهود تدميرا فتفحت الأعين ترقب المخلص فنشأت في أذهان القوم فكرة المسيح المنتظر فيهوه إلههم لن يتركهم لذل الأسر والإيلام كما أنه لن يقبل أن يهدم هيكله وتسقط أورشليمه بزعمهم.

ولقد كثرت الأقاويل والنبوءات حول هذا المخلص وتضاربت في أصله ونسبه وسجاياه، فنسج الخيال اليهودي حوله الكثير كما سنوضح إنشاء الله.

ففي هذه الظروف الحالكة لدى اليهود ظهر (قورش) المجوس ملك الفرس ومؤسس الإمبراطورية الساسانية في فارس فقاد جيشه ففك أسر اليهود بعد أن هزم بابل فالتمس اليهود منه أن يعيدهم إلى القدس وأن يسمح لهم ببناء الهيكل فتهلل اليهود واعتقدوا أن قورش المجوسي هو المسيح المخلص الذي أرسله (يهوه) لإنقاذهم من أيدي البابليين فأطلقوا عليه المسيح.

هكذا يروي سفر أشعياء عن المسيح (قورش) وهو مسيح كاذب فيقول " هكذا يقول الرب أمسكت لقورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما وأحقاء ملوك أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق " (١)

إلا أن اليهود مالبثوا أن عادوا لما كانوا فيه من الذل والقهر والإستعمار على أيدي الرومان، بعد أن ظنوا أنهم قد نجوا من ذلك على يد مسيحهم الموهوم (قورش) الذي ظنوه المسيح الذي ينتظرون على يديه عودة مملكة داود وسليمان، فتبددت ظنونهم لأنها محض خيال.

لقد عاد الرومان بالذل من جديد ليقتلوا أبناءهم ويستحيوا نساءهم ويحصون عليهم الكلمة والبسمة والحركة، ومع عودة الذل والاستعباد عادت إلى اليهود الأماني والأحلام والأوهام، بظهور مسيح جديد يخلصهم من أسر الرومان الذين جرعوهم كؤوس الهوان

---

(١) الكتاب المقدس ، سفر أشعياء، ٤٦ : ١.

والردى، يعمل على إعادة ملكهم وتحرير أورشليمهم، وبسط نفوذهم على الأرض، وتسخير البشرية لخدمتهم لأنهم شعب الله المختار كما يزعمون.

يقول الأستاذ فتحي عثمان (١) في وصفه لحال اليهود إبان مبعث المسيح - عليه السلام - " كان الشعور العام ينتظر ظهور المسيح من نسل داود كقائد شعبي كبير يستخدم المعجزات والخوارق للانتصار على الأعداء، وكان البعض ينتظر من المسيح صراعا دمويا، وجاءت كتابات (الرؤى الرمزية) تعكس هذه المشاعر والآلام. لقد كتبت لتشجيع قوما في شدة الضيق والمتاعب. فهي تصور أحلامهم قضاء قريبا سريعا على الشر وسعادة ومجدا للمؤمنين ".

ولقد كثرت التكهنات والأقاويل كما تعددت الأقاصيص والأساطير بشأن هذا المسيح المخلص، فبعضهم يصوره ملكا - من كبار اليهود السابقين الذين وجد الإسرائيليون في رحابهم العز والمجد - سيقوم من قبره ليعيد لبني إسرائيل عصرهم الذهبي، وبعضهم يرفض فكرة قيام أحدهم من قبره ويراه أميرا من هذه السلالة الشجاعة الغالية سيقود جموعهم إلى حيث النصر والعودة إلى العصر الذهبي، وبعضهم يصوره نبيا من أنبياءهم سيجمعهم بكلمة الله وهديه إلى الحق والعدل اللذين سيكونان ساعدا النصر والسلطان.

وكان أرجح الآراء وأشدها أثرا في نفوس اليهود هو الرأي الذي يرى أن المسيح سوف يأتي من ذرية داود وينتصر انتصارا سريعا حاسما على الأعداء ويحرر إسرائيل ويتخذ أورشليم عاصمة لمملكته ليتوحد الجمع اليهودي الشتيت على عبادة (يهوه) من جديد، ولعل الذي دفع اليهود إلى اختيار داود وسليمان بالذات أن هذا العصر الذهبي الذي عاشه اليهود في ظل حكميهما ما زال يتراقص أمام أعينهم وقد ذكروا أن يهوه وعد داود بأن يثبت كرسي مملكته إلى الأبد فهذه التوراة التي بين أيديهم اليوم تقول " ٨- والآن فهكذا تقول لعبدي داود. هكذا قال رب الجنود أنا أخذتك من المريض من وراء الغنم لتكون رئيسا على شعبي إسرائيل، ٩- وكنت معك حيثما توجهت وقرضت جميع أعدائك من أمامك وعملت لك اسما عظيما كأسم العظماء الذين في الأرض، ١٠- وعينت مكانا لشعبي إسرائيل وغرسته فسكن في مكانه ولا يضطرب ولا يعود بنو الإثم يذللونه كما في

---

(١) فتحي عثمان: مع المسيح في أناجيله الأربعة، ص ٦٠.

الأول، ١١- ومنذ يوم أقمت فيه قضاة على شعبي إسرائيل. وقد أرحتك من جميع أعدائك. والرب يخبرك أن الرب يصنع لك بيتا. ١٢- متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك إقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته. ١٣- هو يبني لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد " (١).

ولم يقتصر هذا الوعد على داود وحده بل وعد كذلك سليمان " ٢- أن الرب قد تراءى لسليمان ثانية كما تراءى له في جبعون. ٣- وقال له الرب قد سمعت صلاتك وتضرعك الذي تضرعت به أمامي. قدست هذا البيت الذي بنيته لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام. ٤- وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضي وأحكامي. ٥- فإني أقيم كرسي ملكك على إسرائيل إلى الأبد كما كلمت داود أباك قائلا لا يعدم لك رجل عن كرسي إسرائيل. ٦- إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي وفرائضي التي جعلتها أمامكم بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها. ٧- فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها والبيت الذي قدسته لأسمي أنفيه من أمامي ويكون إسرائيل مثلا وهزأة في جميع الشعوب. " (٢).

والواقع أن هذه الأحلام والآمال كانت تراود اليهود في وقت الشدة والمحن فكانوا يتخذون من هذه الآمال العذاب متنفسا لما يعانون منه من ألام وشدائد وأملا في النجاة فكانوا ينسجون حوله من الأساطير ما يخففون به ألم الواقع المرير.

ومن هنا ندرك أن فكرة المسيح المنتظر تولدت في نفوس اليهود إبان المحن والنكسات، فكان ميلاد هذه الفكرة هو المتنفس الوحيد للشعب اليهودي المستعبد المنتظر ليوم الخلاص.

**ثانيا: نسب المسيح:**

مما لاشك فيه أن الاختلاف في أمر لا يحتمل الاختلاف – كالنسب لنبي ذائع الصيت كالمسيح – عليه السلام – لا سيما وقد ألهه أصحاب هذا الاختلاف وهو عليه السلام بريء من فريتهم –

---

(١) الكتاب المقدس،صموئيل الثاني، ٧: ٨- ١٣.

(٢) الكتاب المقدس ،الملوك الأول،، ٩: ٢- ٧.

أمر محير يستدرك الشك حتى عند أكبر المتعصبين حتى لا يجدون أمام هذه المعضلة – التي تكفي لعدم ضلا تهم كلها – إلا العناد والمغالطة، لا سيما وأن مصدر هذا الاختلاف هو كتبهم – المقدسة لديهم التي يدعون أنها كتبت بإلهام كان يتنزل على كاتبيها، وهي أساس عقيدتهم ومرتكز ملتهم,وقد أصبحوا بها أمام أمرين:

أحدهما: أن أحد الإنجلين لم يكن بإلهام بيقين، إذا فرضنا أن أحدهما صادق والآخر كاذب، فالكاذب لا شك لم يكن بإلهام، وإلا كان الإله الذي أوصى به كاذبا، وذلك لا يليق بحسب بداهة العقل، ولما كان الصحيح منهما غير متعين فالشك يرد على الأثنين، حتى يثبت الصحيح ويقوا الدليل على صدقه دون الآخر، ومع هذا الشك لا يمكن الاعتماد بأن إلهاما، لأن الشك إن اعترى الأصل زال الاعتقاد.

ثانيهما: أن إنجيل (متى) لم يكن معروفا (للوقا) أي أنه لم يكن متدارسا معروفا لدى العلماء في المسيحية، مع أن تدوين إنجيل (متى) يسبق تدوين إنجيل (لوقا) بأكثر من عشرين عاما على ما عليه جمهورهم ولو كان لوقا يعرفه لراجعه ولما وقع في الخطأ الذي وقع فيه، أو على الأقل ما خالفه، وإذا لم يكن معروفا لدى علماء النصرانية وحوارييها ورسلها فلا بد أنه لم يكن معرفا قط، أو بعبارة أصرح ربما لم يكن موجودا قط.

ولا مناص من هذا إلا أن نقول إن (لوقا) كان يعرفه وأطلع على حديث النسب فيه، وخالفه على بينة منه، لأنه لم يصدقه، وعلى ذلك لا يكون (لوقا) معترفا برسالته (متى) والإيحاء إليه، وأن ما كتبه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وإلا لما خالفه مع علمه.

وخلاصة القول أن تلك المخالفة تنتج إحدى أثنين: إما ألا يكون إنجيل (متى) معروفا. وإما أن يكون موجودا يعرفه (لوقا) ولكن لا يعترف به مصدرا صادق الرواية " (١).

والآن لنقارن بين شجرتي النسب عند كل من (متى) و (لوقا) لنرى مدى تضاربهما في هذا الشأن:

---

(١) محمد أبو زهرة :محاضرات في النصرانية، ص ٩٩ – ١٠٠ ، مطبعة يوسف،ط٣، القاهرة ١٩٨٥.

يقول (متى): " ١- كتاب ميلاد يسوع المسيح لبن داود ابن إبراهيم. ٢- إبراهيم ولد إسحق وإسحق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته. ٣- ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار. وفارص ولد حصرون. وحصرون ولد آرام. ٤- وآرام ولد عمينا داب. وعمينا داب ولد نحشون. ونحشون ولد سلمون. ٥- وسلمون ولد بوعز من راحاب. وبوعز ولد عوبيد من راعوث. وعوبيد ولد يسى. ٦- ويسى ولد داود الملك. وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا. ٧- وسليمان ولد رحبعام. ورحبعام ولد أبيا. وأبيا ولد آسا ولد يهوشافاط. ويهوشافاط ولد يورام. ويورام ولد عزيا. ٨- وعزيا ولد يوثام. ويوثام ولد أحاز وأحاز ولد حزقيا. ٩- وحزقيا ولد منسي. ومنسي ولد آمون وآمون ولد يوشيا ١١- ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل ١٢- وبعد سبي بابل يكنيا ولد شالتئيل وشالتئيل ولد زربابل. ١٣- وزربابل ولد أبيهود ولد ألياقيم وألياقيم ولد عاوز. ١٤- وعاوز ولد صادوق. وصادوق ولد أخيم وأخيم ولد أليود. ١٥- وأليود ولد أليعاوز. وأليعاوز ولد متان ومتان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح. ١٧- فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلا ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا " (١).

ويقول (لوقا): " ٢٣- ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي. ٢٤- بن منشات بن ولاي بن ملكي بن ينابن يوسف. ٢٥-بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن نجاي. ٢٦- بن مآث من متاثيا بن شمغي من يوسف بن يهوذا. ٢٧- بن يوحنا بن ريسا زربابل بن شألتيئيل بن تيري. ٢٨- بن ملكي بن أدي بن قصم بن ألمودام بن عير. ٢٩- بن يوسي بن أليعازر بن يوريم بن مشتات بن ولاي. ٣٠- بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن ألياقيم. ٣١- بن مليابن مينانبن متاثا بن ثاثان بن داود. ٣٢- بن يسي بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون. ٣٣- بن عمينا داب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا. ٣٤- بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور. ٣٥- بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح.

---

(١) انجيل متى ١: ١ - ١٧.

٣٦- بن قينان بن ارفشكاد بن سام بن نوح بن لامك. ٣٧- بن متوشالح بن أخنوخ بن ياردين مهللئيل بن قينان. ٣٨-بن أنوش بن آدم ابن الله " (١)

تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوي عليهما إنجيلا (متى) و (لوقا) مشاكل تتعلق بالمعقولية والاتفاق مع المعطيات العلمية ومن هنا فهي مشاكل تتعلق بالصحة هي مشاكل تحرج جدا المعلقين المسيحيين (النصارى) فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو بجلاء نتاج للخيال الإنساني: ولقد ألهم الخيال الإنساني كتاب سفر التكوين الكهنوتيين في القرن السادس قبل الميلاد في موضوع أنسال الأول وهو أيضا الذي ألهم (متى) و (لوقا) بالنسبة إلى ما لم يستلهمه هذان الكتابان من العهد القديم.

وباديء ذي بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدومي المعنى فيما يتعلق بالمسيح ولو كان من الضروري إعطاء المسيح نسبا، وهو وحيد مريم أمه وليس له أب بيولوجي، فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط.

**الفروق حسب المخطوطات وبالنسبة إلى العهد القديم:**

إذا وضعنا جانبا الاختلافات الإملائية فيجب أن نذكر:

١- إنجيل (متى): لقد زال نسب المسيح من النص المعروف باسم Codx Bezae Contabrigiensis وهي مخطوطة هامة جدا، ترجع إلى القرن السادس الميلادي، مزدوجة اللغة (يونانية ولاتينية): وقد اختفى النص اليوناني تماما واختفت غالبية النص اللاتيني وفيما يخص الجزء الضائع ربما الذي حدث هو مجرد ضياع الأوراق الأولى فقط. لابد من الإشارة إلى الحرية الكبيرة جدا التي اتخذها (متى) إزاء العهد القديم: فقد حذف الأنساب منه لاحتياجات تختص ببرهنة حسابية غريبة وفي نهاية الأمر لا يعطي (متى) هذا البرهان كما سنرى ذلك فيما بعد.

٢- إنجيل (لوقا):

أ- قبل إبراهيم: يذكر لوقا عشرين اسما، أما العهد القديم فهو لا يذكر إلا تسعة عشر فقط " أنظر جدول أنسال آدم في الجزء المكوس للعهد القديم وقد أضاف لوقا بعد أرفشكاد

---

(١) إنجيل لوقا، ٣: ٢٣ – ٣٨.

(رقم ١٢) رجلا يدعى كانيام (رقم ١٣) لا نجد له أي أثر في سفر التكوين باعتباره ابن أرفشكاد.

ب- من إبراهيم إلى داود: نجد عددا يتراوح بين ١٤، ١٦ إسما وذلك حسب المخطوطات.

ج- من داود إلى المسيح: وفقطة الاختلاف الهامة هي التي توجد في النسخة المعروفة باسم Codex Bezae Contabrigiensis الذي ينسب إليها خمسة أسماء ومما يؤسف له أن الجزء الخاص بنسب المسيح من هذه المخطوطات قد اختفى وبهذا لم تعد المقارنة ممكنة.

ولا يمكن موريس بوكاى بهذا البيان الواضح به طوية كاتبي انجلي متى ولوقا بل إنه يأتي بمعادلة حسابية ودقيقة جدا يفضح بها طوية هذين الكاتبين.

يرى القارئ هنا شجرتي نسب المسيح والنقطة المشتركة والجوهرية هي المرور بإبراهيم وداود ولتيسير هذه الدراسة سنتصدى للنقد بتقسيم المجموع إلى ثلاثة أجزاء.

- من آدم إلى إبراهيم.
- من إبراهيم إلى داود.
- من داود إلى انمسيح.

وفي معرض ذكر الاختلافات الواردة في الأناجيل، بما ورد من الخلاف حول نسب المسيح - ﷺ - يقول الشيخ رحمة الله الهندي (١) " من قابل بيان نسب المسيح الذي في إنجيل متى بالبيان الذي في إنجيل لوقا وجد ستة اختلافات:

١-يعلم من متى أنه يوسف بن يعقوب، ومن لوقا أنه ابن هالي.

٢-يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود - ﷺ - ومن لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود.

٣-يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورين ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان.

٤-يعلم من متى أن شلتائيل بن يوخانيا. يعلم من لوقا أنه ابن نيري.

---

(١) رحمة الله الهندي، إظهار الحق، ١/ ١٦٠.

٥-يعلم من متى أن اسم ابن زوريايل أبيهود، ومن لوقا أن اسمه ريصا. والعجب أن أسماء بني زوربابل مكتوبة في الباب الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام وليس فيها أبيهود ولا ريصا فالحق أن كلا منهما غلط.

٦-من داود إلى المسيح عليهما السلام – ستة وعشرون جيلا على ما بين متى وواحد وأربعون جيلا على ما بين لوقا ".

ويقول أحد الباحثين تحت عنوان اختلاف الأناجيل في نسب المسيح حتى إبراهيم " نسب السيد المسيح ابن مريم – عليه السلام – من إنجيل متى يختلف عما ورد في إنجيل لوقا فبينما يصل في إنجيل متى إلى ٤٠ طبقة حتى يصل إلى إبراهيم – عليه السلام – نجده في إنجيل لوقا يصل إلى ٥٥ طبقة حت يصل إلى إبراهيم – عليه السلام –.

ثم يقول:

١-إن ما ورد من نسب المسيح بانجيل متى وانجيل لوقا ليس نسبا للمسيح بل هو نسب يوسف النجار ولا ارتباط نسبي بين المسيح ويوسف النجار هذا، اللهم إذا طعن في شرف أمه بأنه جاء نتيجة اتصال غير شرعي قبل الزواج من خطيبها يوسف النجار كما تزعم اليهود ذلك.

٢-ورد عن النسب بانجيل متى المولود (يدعون اسمه عمانوئيل) وغم أنه ذكر عنه فيما شبق أن اسمه (يسوع المسيح) وما سماه أحد بعمانوئيل أصلا لا أمه ولا يوسف النجار بل قال " تدعو اسمه يسوع ".

٣-إذا نظرت إلى سلسلة النسب سالفة الذكر، تجد أن من بينها اسم فارص بوصفه جدا من جدود السيد المسيح وقد ورد عنه في سفر التكوين الإصحاح ٣٨ أنه توأم لشقيقه زارح ولدتهما تامار عن طريق الزنا من يهوذا بن يعقوب فهل يعقل أن من تقدسه النصارى يكون أحد جدوده من الونى، ثم يرفعونه بعد ذلك إلى مقام الألوهية..

٤-أن ميلاد المسيح من عذراء لم يشر إليه من كتاب الأناجيل سوى متى ولوقا، أما الباقون فقد سكتوا عن ذكره ولا يعلم سبب ذلك أكام خشية منهم في الخوض فيه السخرية أو التهكم أو مخافة الظن والشك عند إيرادهم لقصة مولده من عذراء دون أن يمسها رجل...

٥-إن كتاب الأناجيل الذين ذكروا واقعة نسب يسوع من داود وقعوا في مأزق عجيب، كل ذلك جريا وراء أسطورة المسيح المخلص وذلك بزعمهم أن يسوع من نسل

داود، ولو كان يسوع ينسب إلى داود من جهة أمه مريم لكانت نسبته إلى داود أمرا مفهوما ولكن من المدهش بل من المذهل أن نراهم يربطون بين يسوع وداود عن طريق يوسف النجار خطيب أمه وجعلوا داود جدا له مع أن يوسف النجار لم يمس السيدة مريم العذراء وقتئذ، لقد أرادوا أن يلبسوا يسوع ثوب المسيح المنتظر، فخلعوا عليه كل أوصافه، ولم يبقى إلا أن يكون من نسل داود، ولما كانت السيدة مريم والدة يسوع ليست من سلالة داود فلم يكن بد من أن يربطوا بينها فبين رجل من سلالة داود هو يوسف وجعلوا منه خطيبها لمريم وأبا ليسوع، كل ذلك يكون من نسل داود، فكان جرى هؤلاء الكتاب وراء أسطورة المسيح المخلص ومحاولتهم خلع قناع المسيح على يسوع، وهو تجريد له من ميزته الكبرى ومعجزته العظمى في ولادته دون زرع رجل، بل إنهم يفعلهم هذا يصفونه هو وأمه بإشنع الأوصاف وأحط الإتهامات بتدنيس ميلاده والصاق الفاحشة بأمه فمالوا إلى تأكيد الزعم الشائع والكذب الذي كان رائجا في اليهودية بأن يوسف النجار قطف الثمرة قبل الأوان، وضاجع مريم قبل الزواج فولدت بيسوع ونسبته إليه " (١).

## المبحث الثاني

## قضية الميلاد من غير أب

**أولا: قضيةميلاد عيسى ﷺ عند اليهود:**

لا يوجد في كتب اليهود التي بين أيديهم اليوم ويقدسونها ويدعون أن من بينها التوراة المنزلة على موسى ﷺ شيء يذكر عن قضية ميلاد عيسى ابن مريم ﷺ، بل عن أي شيء يتعلق بشخصه، وإن كان هناك من يذكر أن مسألة قتله كانت موجودة في التلمود ولكن اليهود أخرجوها حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم التي تعتنق النصرانية كما يروي الأستاذ محمد عزت طهطاوي عن الدكتور إسرائيل ولفنسون(٢)..

بل إن الدكتور أحمد شلبي يذكر ذلك فيقول (٣) " يقول التلمود عن المسيح: إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار زإن أمه مريم أتت به من العسكري،

---

(١) محمد عزت الطهطاوي: النصرانية والإسلام، عالمية الإسلام ودوامة إلى قيام الساعة،ص ٣٢ – ٣٥، بتصرف.دار الأنصار ، القاهرة.

(٢) المرجع السابق،ص٣٦.

(٣) أحمد شلبي:مقارنة الأديان اليهودية، ، ص ٢٧٩،ط٤, مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة١٩٧٣.

(باندارا) عن طريق الخطيئة، وإن الكنائس النصرانية هي بمقام القاذورات والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة، وإن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهدا صحيحا يلتزم اليهودي القيام به، وإنه من الواجب أن يلعن اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل ".

وعلى وجه العموم فإن قولهم في عيسى ﷺ وفي أمه معلوم مشهور.

ولكن المطلع في كتب اليهود لا يجد تفصيلا لأحوال عيسى بن مريم ﷺ في شيء منها، فهو في نظرهم ليس إلا شخص عادي خرج على نظمهم فعدوه مجدفا وقرروا قتله، وشرعوا في ذلك لو لا أن نجاه الله من مكرهم.

وعلى كل حال فهم وإن أنكروا المسيح عيسى بن مريم، فإنهم ينتظرون مسيحا مخلصا على طريقتهم كما مر معنا.

وقد يختلط الأمر على من يقرأ لهم شيئا حول ما يسمونه بالمسيح المخلص فيظن أن المقصود هو المسيح ابن مريم ﷺ وهذا ليس صحيحا وقد أوضحنا ذلك بشيء من التفصيل في الفقرتين السابقتين حتى لا يلتبس الأمر على المطلع على هذا البحث.

يقول الدكتور عبد السلام عبده (١) يتضح لنا أن عقيدة اليهود في عيسى ﷺ أنه جاء من سفاح وأن مريم خانت حياءها وعفتها فيه وأتت به بطريق بشري ولكنه غير شرعي ولكن ممن جاءت به؟ ومن أبوه؟

يختلف اليهود في ذلك فيدعي بعضهم أنها حملت من أحد الغرباء أو أحد الجنود الرومان وبعضهم يظهر نفسه بمظهر المعتدل العادل في حكمه فيدعي أن مريم وخطيبها (يوسف) وقد أرقهما الحب فاتصلا ببعضهما قبل الأوان فكان عيسى، ولذا فقد قبل الزواج منها وهي على هذا الذي كانت عليه وكثيرا ما كانوا ينادونه بعيسى ابن يوسف، وكان أغلب اليهود على ذلك.

إذا فليس هناك الكثير عن معتقد اليهود في ميلاد عيسى ﷺ على أساس أنه في نظرهم إنسان جاء ثمرة لخطيئة أمه، ثم إنه لما كبر أخذ ينادي بما يخالف أهوائهم،

---

(١) عبد السلام محمد عبده:قضية الدين مع مسيرة الفكر الإنساني، ص ١٢٤مطبعة لطفي ، القاهرة ١٩٧٨.

وبدعهم فهبوا لمقاومته، عزموا على قتله وشرعوا في التنفيذ إلا أنهم لم يتمكنوا منه، بل جعل الله له شبيها منهم فارتدت حرابهم إلى صدورهم ونجا الله نبيه ﵇.

وتتضمن كتب النصارى المقدسة عندهم ما يدعون أنه إشارات من العهد القديم أي التوراة وما عداها من كتب اليهود والتي يعدها النصارى جزء من كتبهم المقدسة تدل على مولد عيسى – ﵇ – وسير حياته وما ادعوه له من ألوهية، ونهاية حياته على الطريقة التي صوروا بها هذه الأمور وفق أهوائهم وادعاءاتهم.

ثانيا:قضيةميلاد عيسى ﵇ عند النصارى:

ساعد النصارى- بحمقهم- اليهود على أن يقولوا في عيسى – ﵇ – وفي أمه رضي الله عنها – ما ليس بحق وأن يتهموها ظلما وبهتانا بالزنا فهم – أي النصارى- ضمنوا الأناجيل – رغم أنهم لا يدعون أن من بينها إنجيل عيسى – ﵇ – ضمنوها نسبا لعيسى وجعلوه ابن يوسف النجار (١) رغم أنهم يقولون بأنها حملت به وهي عذراء ولم يمسها بشر بل كانت حملها به نتيجة البشري التي حملها إليها الملاك.

والحقيقة أن تضارب روايات الأناجيل واختلافها ليس خاصا بقضية ميلاد عيسى – ﵇ – بل هو كذلك في أكثر القضايا التي تضمنها كل من هذه الأناجيل.

يعترف الكاتب النصراني حبيب سعيد بمدى الحرج الذي يسببه هذا الاختلاف فيقول: " قد يقال في معرض الجدل أنه كان الأصح أن تكون سيرة واحدة بدل أربع سير للمسيح. ونحن لا ننكر أن في وجود سير كثيرة شيئا من الحرج، وقد أحس بهذا الذين يقومون بالتعليم الديني، وخاصة للطالبين والباحثين من غير المسيحيين.... على أنه يجب التسليم في غير موارية أن هناك بعض الفوارق أو التناقض والاختلاف في قليل من الروايات.... ولم يدع أحد العصمة الحرفية اللفظية لروايات الإنجيل فقد كان الكتاب خاضعين للعوامل العقلية والنفسية التي يخضع لها الكتاب عادة في كل جيل. ولا نجني شيئا إذا نحن تظاهرنا أو ادعينا أن ليس بين البشائر بعض الفوارق التافهة "(٢).

---

(١) يوسف النجار شاب صالح كان في خدمة البيت المقدس على ما يرى الكتاب المسلمين. وقد عاصر أحداث مولد عيسى – ﵇ – ويدعى النصارى أنه كان خطيبا لمريم العذراء قبل ولادتها عيسى – ﵇ – ثم إنه تزوجها وأنجبت له إخوة لعيسى.

(٢) أديان العالم، لحبيب سعيد، ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

والآن إلى روايات الأناجيل: ففي إنجيل متى: " ١٨- أما ولادة يسوع المسيح فكانت لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجعا وجدت حيلي من الروح القدس. ١٩- فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا. ٢٠- ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في خلم قائلا يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذي حبل به فيها هو من روح القدس. ٢١- فستلد ابنا وتدعوا اسمه يسوع. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. ٢٢- وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل. ٢٣- هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا. ٢٤- فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته. ٢٥- ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع " (١).

فيروي لنا (متى) أن يوسف النجار كان معاشرا لمريم إبان فترة خطوبته لها حيث كانت العادة – آنذاك لدى الشعب الإسرائيلي تبيح أن يعايش الخاطب مخطوبته فترة ليتضح له خلالها – أخلاقها وتصرفاتها وتكون بعيدة كل البعد عن المعاشرة الجسدية، ومن هنا فإن يوسف النجار هو أول من أدرك حملها، وأراد تخليتها وفسخ خطوبتها دون أن يشهر بها برابها وصونا عن فضح أمرها.

لكنه بينما تراوده هذه الفكرة إذا بروح القدس يظهر له في رؤيا تؤكد براءة مخطوبته ثم يبشره أنها ستلد المخلص لشعب إسرائيل من تنكرهم وبعدهم عن صراطه المستقيم فيكتم هذا عن مريم ويبقى على خطبتها ثم يتركا موطنهما إلى آخر حتى تلد (عيسى) عليه السلام وهذا الإنجيل يصدر حديثه ببيان نسب عيسى، فيذكر سلسلة طويلة يبدؤها بإبراهيم – عليه السلام – وينهيها بيوسف النجار.

إنجيل مرقس: هذا الإنجيل لم يحدثنا عما نحن بصدره من قصة الميلاد فلم يقل شيئا عن ظهور الملاك... لمريم وهي في خلوتها أو حمله البشري لها إنه يبدأ حديثه عن عيسى غلاما قادما من ناصره الجليل يعمده (٢) (يحيى) عليه السلام في نهر الأردن ويغفل الحديث عما قبل هذه الفترة وهي ساحة بحثنا الأن. فهو يبدأ الحديث عنه عليه السلام هكذا:

---

(١) إنجيل متى، الاصحاح الأول، الفقرات، ١٨ – ٢٥.

(٢) يعمده " جاء في تفسير جماعة من اللاهوتين من للكتاب المقدس ولما أصر (عيسى) عليه السلام على أن يعمده (يحيى) عليه السلام أمسك يحيى بالجسد وغطسه في الماء ولو تزال المعمودية إلى الآن في سنن النصارى ولكن =

" ٩- وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصره الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن.
١٠- وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات أنت ابني الحبيب الذي سررت به" (١).

ثم يستطرد هذا الإنجيل بعد ذلك في تتبع حياة المسيح عليه السلام في سرد تاريخي بعيدا عن الحكم والوصايا التي تنتظر من مثله مما يتخذ مصدرا لدين سماوي.

يحدثنا إنجيل لوقا عن ميلاد عيسى عليه السلام حديثا خالق به انجيل (متى) وافقه في ذكر قصة الميلاد فقال: " ٢٦- وفي الشهر السادس ارسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة. ٢٧- إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم. ٢٨- فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت في النساء. ٢٩- فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. ٣٠- فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. ٣١- وها أنت ستجلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. ٣٢- هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ٣٣- ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. ٣٤- فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا. ٣٥- فأجاب الملاك وقال لها. الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله. ٣٦- وهو ذا اليصابات نسبتك هي أيضا حيلي بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا. ٣٧- لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله. ٣٨- فقالت مريم هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك. فمضى من عندها الملاك " (٢).

---

=مع خلاف في الطريقة فالأرتوذكس يعمدون بالتغطيس ثلاث مرات في الماء للداخل في النصرانية وللمولود في البيئة النصرانية والكاثوليك لا يعتمدون بالتغطيس بل بالرش. وهي من أسرار الكنيسة السبعة ويعرفها الاثوذكس بما نصه " المعمودية هي سر مقدس به نولد ميلاد ميلادا ثانيا بتغطيسنا في الماء ثلاث دفعات باستدعاء الثالوث المقدس الاب والابن والروح القدس وبذلك نكون قد متنا عن الخطية والحياة الجسدية ووفنا مع المسيح وقمنا مولودين ولادة ثانية روحية " وفي الأناجيل أن عيسى عليه السلام كان في سنن الثلاثين وقت معموديته (*)

(*) أنظر: أحمد حجازي السقا: يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية، ، ص ٦٢-٦٣.

(١) إنجيل مرقس، الاصحاح الأول – الفقرات – من ٩ – ١١.

(٢) إنجيل لوقا: الاصحاح الأول، الفقرات ٢٦ – ٣٨.

فيروي لنا لوقا في إنجيله وهو يحدثنا عن قصة ميلاد عيسى ﷺ أنه بينما (اليصابات) زوج (زكريا) ﷺ حامل بيحيى - وقد مضى على الحمل ستة أشهر إذا بملاك الرب يطرق باب العذراء (مريم) المقيمة بالناصرة فلما رأته خافت منه فقال لها لا تخافي لأنك ستلدين اليسوع وارث كرسي داود أبيه فقالت كيف ألد ولم يمسني رجل فقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فالمولود منك يدعى ابن الله، فرضيت مريم ".

كما يحدثنا لوقا عن نسب، عيسى ﷺ فيقول عنه إنه يسوع بن يوسف النجار بن هالي ثم يستمر في سرد نسبه إلى أن يوصله إلى ناثان بن داود ﷺ.

أما انجيل يوحنا فلم يحدثنا عن قصة الميلاد كما ذكرها انجيلا (متى) و (لوقا) فاتفق مع مرقس في ذلك كما لم يحدثنا عن نسبة، ولكنه أتى بطريق وجديد في مسألتنا هذه حين حاول أن يبين كيف كان (عيسى) بالكلمة فقال في مستهل حديثه وفي أول فقرات إنجيلية:

" في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. ٢- هذا كان في البدء عند الله. ٣- كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. ٤- فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس. ٥- والنور يضيء في الظلمة والظلمة تدركه " (١).

" أي أنه صار إنسانا إنسيا من لحم ودم مثلنا... ومن الواضح أن الكلمة إذ صار إنسانا لم يكف أن يكون إلها ومن ثم كان يسوع المسيح الكلمة المتجسدة وإلها وإنسانا معا " (٢).

بهذه الكلمات فسر الأب (لويس) كلمات (يوحنا) المذكورة أعلاه. منطلقا في ذلك من منطلقهم الفاسد القائل بألوهية (عيسى) ﷺ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

عقيدة النصارى في ميلاده بدون أب:

يقول يوحنا في مستهل إنجيله: " ١- في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. ٢- هذا كان في البدء عند الله. ٣- كل شيء به كان بغيره لم يكن شيء مما

---

(١) يوحنا، الاصحاح الأول، الفقرات من ١ -٥.

(٢) لويس برسوم الفرنسيكاني :حياة يسوع المسيح ، ج ١، ص ٨، المعهد الأكليريكي الفرنسيسكاني الشرقي، القاهرة.

كان. ٤- فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه " (١).

يقول برسوم فرنسيسكاني: " تصرح هذه الآية بما لا يرقى إليه الشك بأن الكلمة هو الله كالآب سواء بسواء هذا، أي الكلمة كان في البدء عند الله تصرح آخر بأقنومية الكلمة الأزلي تميزه عن أقنوم الأب.

" كل شيء به كان، وبدونه لم يكن شيء مما كان " أي أنه الخالق العظيم الذي خلق السموات والأرض فكل شيء به كون وبدونه لم يكن شيء مما كون.

إذن فكل ما في السموات والأرض يدين للكلمة بالحق كما يدين للأب، سواء بسواء (٢).

ومن هذا الذي شرح به (لويس برسوم) هذه الفقرة من إنجيل (يوحنا) يتضح لنا أنه يصف اليسوع - عيسى - عليه السلام - بأنه إله متصف بـ:

- الأزليه.
- قائم بذاته.
- خالق كل شيء.
- نور الحياة: النور المادي، والنور المعنوي، ونور العقل ذاته.
- حياته من ذاته والحياة تستمد منه.
- يطلق عليه بجانب ما أطلق عليه من أسماء معروفة مشهورة، الكلمة والحياة والنور.

ويقول حبيب سعيد:" الإنسان يفكر في بعض المعاني مثل: العدل، الإيمان، الثبات، المحبة. هذه الأفكار كلمات حتى قبل أن أنطق بها، لأن الكلمة الصوتية إن هي إلا التعبير عن الكلمة الداخلية الكامنة في عقلي وهذه الأفكار أو الكلمات الكامنة - مولودة فمثلا:

من ذا الذي جلس يوما إلى مائدة عشاء مع العدل أو منذ اسمع المحبة خرجت يوما إلى نزهة خلوية أو من ذا الذي عرف حجم أو ميزان أو لون العزم أو الثبات ما من

---

(١) يوحنا، الاصحاح الأول، الفقرات ١ - ٤.

(٢) لويس برسوم فرنسيسكاني: حياة يسوع المسيح، ص ٦.

امرئ رأى أو لمس أو تذوق هذه الأفكار، ومع ذلك فهي حقائق لا سبيل إلى أفكارها ولكن من أين جاءت؟

(كان الكلمة عند الله) عد معي إلى ما قبل خلق الملائكة والإنسان والحيوان والأرض والسماء، تسمع القولة عينها (كان الكلمة عند الله) ".

هو (الكلمة) الذي سمعه البشير يوحنا يوم كتب في استهلاك بشارته (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله) وكما أن أفكاري المستكنة لا تظهر إلا عند الكلام، هكذا على حد قول البشير الكلمة صار جسدا وحل بيننا، وهذا الكلمة هو الأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس هو بداية كل الأشياء، ونهايتها، وهو الكائن قبل الخليقة، هو ملك الكون الذي صنع كل شيء " (١).

ومن هذا الزي ذكر النصرانيان اللذان نقلت عنها سلفا شرح نص يوحنا يتبين لنا أن النصارى يعنون بالكلمة (عيسى) - عليه السلام - ويرونها شاهد صدق على ألوهية الكاملة، ومساواته لله تعالى، ثم يعللون لمعتقدهم في (وكان الكلمة الله) بعد أن يطلوقها على عيسى - عليه السلام - في (البدء كان الكلمة) بـ:

١- الكلمة الصوتية تعبير عن الكلمة الكائنة في الفعل فكلمة الله فكر، ولما كان فكر الإنسان توالد روحي من الإنسان ففكر الله توالد روحي من الله، فالمسيح إذا ابن الله.

٢- ولما كان فكر الإنسان تعبيرا صادقا عن شخصيته إذا فالمسيح إله كامل الألوهية يماثل الله تماما في الأزلية والخلق والبقاء والحياة، وغير ذلك من صفات وصف الله بها نفسه، وانفرد بها فلا يشاركه فيها مشارك.

لقد آثرت قبل أن أخلص القول للحديث عنها في الفكر النصراني أن أتبين معناها في اللغة العربية ثم في الفكر اليهودي أرومة الفكر النصراني وأصله توضيحا للمراد:

أ- الكلمة في الفكر الإسلامي:

جاء في لسان العرب: " القرآن كلام الله، كلم الله، وكلماته، وكلمته، كلام الله لا يحد ولا يعد وهو غير مخلوق قال ابن سيدة: الكلام: القول معروف، وقيل: الكلام ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجمله، والقول ما لم يكن متكفيا بنفسه وهو الجزء من الجملة وقال

---

(١)حبيب سعيد، أديان العالم، ص ٣١٤.

سيبويه: ومن أول الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقولوا القرآن قول الله، والقول معناه اللفظ " (١).

أما المراد بـــ (الكلمة) في القرآن الكريم فهو كلمة (كن) قال تعالى: ﴿ وهو الـــذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فـــي الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ (٣).

يقول الفخر الرازي (٤) " وفي قوله تعالى " إنما المسيح عيسى ابن مريم رســـول الله وكلمته.. أنه خلق بكلمة الله، وهو قوله (كن) من غير واسطة الأب، فلمـــا كـــان تكوينـــه بمحض قوله تعالى (كن) وبمحض تكوينه وتخليقه من غير واسطة اللب والبذر، لا جـــرم سمي: كلمة، كما يسمى المخلوق خلقا، والمقدور قدرة، والمرجو رجاء المشتهي شـــهوة، وهذا باب مشهور في اللغة ".

ب- الكلمة في الفكر اليهودي:

مما لا شك فيه أن النصرانية ولدت في مهد يهودي فكان طبيعيـــا أن يكـــون حـــديث أبنائها بلغة اليهود وعقليتهم.

ويذكر أحد الباحثين أن هناك عوامل شكلت أفكار اليهود عن الكلمة هي:

١-قوة الكلمة:كان اليهود يرون في الكلمة أكثر من صوت فالكلمة لها قوتهـــا ولهـــا وجودها الذاتي المستقل.

٢-إشارات العهد القديم إلى قوة الكلمة: والعهد القـــديم حافـــل بالإشـــارة إلـــى قـــوة الكلمة،كما أن الخلق كان بالكلمة، ففي بداية سفر التكوين يفتتح كل فـــصل مـــن فـــصول الخلق بالقول.

---

(١)انظر: بن منظور: لسان العرب،مج٢، ص ٥٢٢.

(٢)سورة الأنعام: ٧٣.

(٣)سورة النحل: ٤٠.

(٤)الرازي:التفسير الكبير ، ٨/ ٣٥.

ففي سفر التكوين الاصحاح الأول " ٣- وقال الله ليكن نور فكان نور. ٦- وقال الله ليكن جلد في وسط المياة.. ٩- وقال الله لتجتمع المياة تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليالبسة... ١١- وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا.... " وغير ذلك.

إذا فالكلمة قوة جبارة تخلق كل شيء من لا شيء في الفكر اليهودي.

وفي سفر المزامير:

في المزمور٢٣ يقول: " ٦- بكلمة الرب صنعت السموات ".

وفي المزمور ١٠٧: " ٢٠- أرسل كلمته فشفاهم ونجاهم من تهلكتهم ".

وفي المزمور ١٤٧: " ١٥- يرسل كلمته في الأرض سريعا جدا يبري قوله ".

إننا نلمح في العهد القديم بجملته إشارات متعددة يضيق بها المقام عن قوة الكلمة وأثرها وإذا كانت لكلمة الإنسان مثل هذه القوة فكم تكون كلمة الله الحق؟.

ج- الكلمة في الفكر النصراني:

الكلمة التي تعنيها النصرانية في إنجيل (يوحنا) ليست واحدة من كلمات الله التي خاطب بها أنبياءه، وليست كلمة (كن) التي خلق بها هذه المخلوقات إنما هي كلمة خاصة يعنون بها ما يلي ".

يقول القس يسي منصور في مؤلفه (رسالة التثليث والتوحيد) : " إن المسيح لم يدع كلمة الله لأنه مخلوق بكلمة الله، بل دعي بذات كلمة الله وإلا فكل الخلائق مخلوقة بكلمة الله فهل ندعوها كلمة الله؟ وكلمة الله هذه غير كلمته المكتوبة في الكتاب المقدس ".

ثم يقول: " فكلمة الله ذات اسمه المسيح، والكلمة المكتوبة ليست بذات وكلمة الله تجسدت، والكلمة المكتوبة لن تتجسد. والكلمة المكتوبة ليست الله، والكلمة المتجسدة هو الله".

ثم يقول أيضا: " وقد دعى المسيح كلمة الله استعارة وتشبيها بالكلمة نتفوه بها وقت التكلم فالكلمة هي:

أولا: إعلان المتكلم لأنها ترجمان أفكاره وتبيان مقاصده، ودليل على سجاياه فكذلك المسيح هو إعلان الله للناس وبدونه لا نعرفه تعالى كقوله: " الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي في حضن الأب هو خبر " يوحنا: ١: ١٨.

ثانيا: الكلمة هي قوة المتكلم ولأن ولأن إرادته تنفذ بتأثيرها، كما جاء في سفر الجامعة: (حيث تكون كلمة الله فهناك سلطان) جامعه: ٨: ٤ فكذلك المسيح هو قوة الله الذي به خلق العالم، وخلص البشر.

ثالثا: الكلمة هي ذات وجود دائم ملازم للعاقل الناطق، فكذلك المسيح موجود أزليا مع الآب، لذلك لقب بكلمة الله لوجوه الأزلي معه ولأنه منه فهو حسب الجوهر مع الآب والروح والقدس ذات إلهية واحدة (١).

وهذا التأويل الذي أولت به الكلمة هنا إنما جاء بعد أن عرفت المسيحية وجوه التجسيد كلها وألبستها أثوابها جميعا.

ولهذا فإننا نرى الكلمة تخرج عن أن تكون إحدى كلمات الله التي بها خلق المسيح، فإذا هو قوة الله الذي به خلق العالم وخلص البشر ثم يكون هو الذي الإلهية مع الأب والروح القدس.

الرد على الفكر النصراني في الكلمة:

في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.

لقد فهم دعاة النصرانية ومبشروها من هذا النص أن الكلمة هي الله، وأن الله هو الكلمة، وأن الكلمة خلق كل شيء وأنه صار جسدا وكان بيننا في شخص المسيح الذي رآه الناس في عصره الذي ظهر في أرض اليهودية وقام بدعوته في مواجهة اليهود وطلع عليهم بمعجزات قاهرة اختلف الناس من أجلها في تصور حقيقته.

ومفهوم هذا النص على هذا الوجه لا يسلم به، ويمكننا أن نورد عليه هذه النقود التالية:

أ- في البدء كان هو الله: أي بدء تعني؟ وما حده الزمني؟ وإذا كان له حد زمني فهل يكون له متعلق بالله؟ وهل هذا يليق بكمال الله الذي لايجري عليه الزمان؟

ب-الكلمة هو الله: والكلمة كان في البدء فهل لله بدء؟ وماذا كان من قبل البدء؟

لا يقول بهذا أحد من المؤمنين والمقرين بوحدانيته تعالى ومنهم النصارى بزعمهم الذين يقولون بعد تفريق الأقانيم الثلاثة وجمعها إله واحد آمين.

---

(١) يسي منصور:رسالة التثليث والتوحيد للقسيس ، ص ١٧٤.

إن الله تعالى أول بلا بداية، وباق بلا نهاية.

ج-الكلمة كان عند الله: ماذا تعني العندية هنا؟ وكيف يتفق أن تكون الكلمة بدء بمعنى الأولية المطلقة، ثم توصف بأنها كانت عند الله، ثم ترتفع هذه العندية ويكون الكلمة هو الله لا عنده؟ (١)

هذا التناقض هو ما يعطيه هذا النص، كما تنطق بذلك ألفاظه وعباراته. أما حمله على غير هذا، فهو من تؤلات المتأولين.

د. يستحيل أن تكون كلمة الله. ذلك لأن الكلمة شيء والمتكلم شيء آخر فالكلمة كيان منفصل عن المتكلم والمتكلم هو الموجد لكلمته إذا فالكلمة غير المتكلم، ولما كان الله تعالى هو الخالق لعيسى – عليه السلام – بكلمة (كن) كان من المحال أن تكون الكلمة الله.

هـ- لو سلمنا بأن لله عقلا تحويه ذاته، وان لهذا العقل فكر، وأن لهذا الفكر نطقا، وأن النطق هو كلمته – تعالى الله عما يقول الضالون علوا كبيرا – فكيف يمكن لهم أن يخصصوا هذه الكلمة بالمسيح – عليه السلام – إن الملائكة أولى منه بذلك، لأنهم خلق غير متجسد في صورة بشرية، فهم أقرب إلى الكلمة بهذه الصورة من المسيح – عليه السلام –.

و-إن المسيح تجسد – كما يعتقدون – في كلمة واحدة، فهل عقل الله وفكره ونطقه والتفاعل القائم بينها جميعا لم يلد إلا كلمة واحدة، ثم عقم هذا العقل بعدها إلى الأبد فلم يلد شيئا؟ إن هذا لشيء عجاب.

ز-قد يقال إن كلمات الله كثيرة لا تنفذ ولكن الكلمة الأولى التي ولدها عقل الله هي وحدها التي تستحق نسبة النبوة الروحية إلى الله دون سواء. ونقول: إذا كانت هذه الكلمات هي نتاج عقل واحد فأي تفاضل بينها، بل إنه لو كان هناك تفاضل لكان اللاحق خير من السابق.

**عقيدة المسلمين في ميلاد عيسى عليه السلام بالكلمه:**

قال الله تعالى:﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ *

---

(١)أنظر:عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ص ١٢٥- ١٤٦،ط١،دار الكتب الحديثة،القاهرة ١٩٨٥.

قَالَتَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ الله يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

والآن نجمل ما ورد في أقوال المفسرين(١) حول معنى (الكلمة) الواردة في نصوص الآيات القرانية في نبي الله عيسى ـ عليه السلام ـ على النحو التالي:

أن عيسى ـ عليه السلام ـ سمى (كلمة) لأنه كان بكلمة الله التي هي (كن) وأنها في حقه أظهر حيث تخلق أحد الأسباب المعهودة وهو الأب.

قيل إنه سمي (كلمة) لأن الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله تعالى وورد حول هذا قول أبي عبيد، (بكلمة من الله) بكتاب من الله.

أن معنى (بكلمة منه) أي برسالة من الله وخبر من عنده، كقول القائل ألقى إلى فلان كلمة بمعنى أخبرني خبرا فرحت به. أي بشرى.

أنها اسم علم على عيسى ـ عليه السلام ـ كما يسمى البعض لطف الله مثلا فسمي عيسى (كلمة الله) كما سمي (روح الله)

قيل أنه أطلق عليه ذلك لأن الله تعالى بشربه في الكتب السالفة. فلما جاء قيل هو تلك الكلمة، فسمي (كلمة) بهذا التأويل.

أنه كما يسمى السلطان العادل ظل الله في أرضه لأنه سبب لظهور ظل العدل فكذلك كان عيسى ـ عليه السلام ـ سببا لظهور كلام الله عز وجل فسمي (كلمة الله) على هذا التأويل.

ويقول الأستاذ محمود مزروعه ـ عند حديثه عن عيسى ـ عليه السلام ـ تحت عنوان (كلمة الله) " يقول تبارك وتعالى: ﴿ إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ ويقول تعالى: ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ (٢)

---

(١) القرطبي:الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٧٦،دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان؛ الطبري: جامع البيان في التفسير القرآن ٣/ ١٨٥ ،دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان؛النيسابوري:غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣/ ١٩٨ ، دار المعرفة، بيروت، لبنان؛ الألوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني٣/ ١٦٠،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٢)سورة النساء: ١٧١

فالمسيح في هاتين الآيتين هو كلمة من الله أو كلمة الله. ومعنى أنه كلمة الله، أنه تكون بالكلمة. أن الله أنشأه من غير أب وليس من مني يمنى وأنه أنشأه بالكلمة. والكلمة هي (كن) الدالة على إرادة الله كون الشيء ووجوده ـ والكلمة بهذا المعنى ـ ليست خاصة بعيسى ـ ﷺ ـ فكل شيء في الوجود هو (كلمة الله) بهذا المفهوم. لأن الأسباب المباشرة ليست فاعلة بذاتها وإنما الفاعل الحقيقي هو الله تعالى. فإرادة الله كون الشيء هي الموجدة وهي الفاعلة في الحقيقة ولكن عيسى ـ ﷺ ـ اختص بذلك دون بقية الموجودات من حيث أن تأثير الكلمة فيه أظهر، وعملها فيه أوضح وأشهر. لهذا وصف وحده بأنه كلمة الله. وإلا فكل ما في الوجود هو كلمة الله بالمعنى الذي بينا.

وعيسى ـ ﷺ ـ ليس هو الكلمة كما هو ظاهر النظم الكريم، وإنما هو المحدث بالكلمة، المكون بالكلمة. ولأنه المكون بالكلمة دون واسطة مباشرة أو سبب قريب. عبر عنه التنزيل الكريم بالكلمة، تنبيها إلى أثرها الواضح فيه، وإلى أنه من أثرها وحدها، دون ما ألفناه من أسباب وعلل، فكأنه هو هي، أوهي هو " (١)

وقد يتساءل البعض لما كل هذا الاهتمام بمعنى (الكلمة) في هذا المقام؟

ويتضح الجواب عندما نعلم أن النصارى انطلقوا في تأليههم لعبد الله ورسوله عيسى ـ ﷺ ـ من تحريفهم لمعنى (الكلمة)، فتغننوا في تحميلها ما تمليه شياطينهم من المعاني، وانغمسوا بها في مهاوي نواياهم المبيته على أن يكون الله (سبحانه) ثالث ثلاثه، وأن يكون عيسى إبناله، فصالوا وجالوا وفكروا وقدروا، فخرجوا (للكلمة) بما لا تطيقه من المعاني، ولم يكفهم أقوال قادة الضلال عندهم، ومؤسسوا النصرانية الكافرة، بل تطاولوا على القرآن الكريم وأخذوا يتلصصون على الفكر الإسلامي، ويبعثون بالآيات الكريمات، فطالوا من ضمن ما طالوه (الكلمة) الواردة في شأن عيسى ابن مريم ـ ﷺ ـ إلا أنه بمحمد الله قد انبرى لهم أبطال الإسلام وردوهم مدحورين، وفندوا مزاعهم وفضحوا مكائدهم، فانقلبوا على أعقابهم خاسرين.

---

(١)محمود مزروعة :دراسات في النصرانية، صـ ٤٣

وما هذه اللمحات التي أوردناها إلا فيض من غيض، من ملاحم كفاح علماء المسلمين دفاعا عن العقيدة، وإعلاء للحق، وتمثلا لقول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ الله بِأَفْوَاهِهِمْ والله مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ﴾ (١).

**ثالثا: قضية ميلاد المسيح ﷺ في القرآن:**

إن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٢) ما يقتلع زيغ الزائغين ــ فيه ﷺ ــ من الجذور، وهي أيضا تحمي ما استقر في عقائد المصدقين المخلصين ــ فيما يتعلق بخلقة ــ ﷺ ــ من أي ذرة شك قد تعلق بها أو تحلق حولها فخلق آدم ــ ﷺ ــ تتفق حوله آراء الطوائف الثلاث أليهود والنصارى والمسلمين، ومع هذا نرى اليهود والنصارى يضلون في قصة خلق عيسى ــ ﷺ ــ ضلالا بعيدا. فالنصارى يغلون فيه حتى يؤلهوه واليهود يغالون في عداوتهم له حتى يلاحقوه ليقتلوه، على مامر في البابين الأول والثانى من هذا البحث، ثم يأتى القرآن ليفضح هؤلاء وهؤلاء ويعيد لنبي الله عيسى مكانه بين إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويكشف حقيقة ما أكرمه الله به في معجزة ميلاده من مريم البتول بكلمة منه جل وعلا.

وليس خلقه ــ ﷺ ــ من أم بلا أب بأكثر إعجازا من خلق آدم أبى البشر ــ ﷺ ــ بلا أم ولا أب، أو خلق حواء من آدم بلا أم. بل إن خلق البشر من أب وأم ــ على النحو المعهود ــ فيه من الإعجاز ما يدعو أولي الأبصار إلى تأمل عظمة وقدرة الخالق عز وجل ويزيد المؤمنين إيمانا ﴿فِي الأَرْضِ آيات لِّلْمُوقِنِينَ*وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾ (٣) ومع هذا فإننا نجد في القرآن الكريم تفصيلا لقصة هذا الميلاد، ميلاد عيسى ابن مريم ﷺ.

---

(١)سورة الصف ــ آية ٨

(٢)سورة آل عمران: ٥٩

(٣)سورة الذاريات: ٢٠

بل إن ورود الآيات بذكره في عدة مواضع من كتاب الله، وذكر أحداث مولده، والتمهيد لها بذكر ما يناسبها من خوارق العادات كقصة مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام من شيخ هرم وعجوز عقيم، في هذا كله من الفوائد ما أذكر منه: ـ

١-علو قدر هذا النبي ـ عليه وعلى سائر إخوانه الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

٢-دفاع القرآن الكريم عن رسل الله وبيانه لأحوالهم وتبنيه لقضاياهم كجزء من القضية الكليه التي أنزل من أجلها.

٣-فضح النصارى المتخبطين في ظلمات أدخلهم فيها أعداء النصرانية الأوائل الذين كان على رأسهم (بولس) المؤسس الحقيقي للنصرانية المنحرفة الضالة القائمة حتى اليوم.

٤-التصدى لليهود وتفنيد اتهاماتهم السافرة لعيسى ـ عليه السلام ـ وأمه، وإيقاضهم من أحلامهم ـ بتشفيهم فيه بقتله ـ على حقيقة أنهم "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم... " (١)

٥-ما في ذلك من العبر والعضات للمتدبرين في القرآن المتأملين لقدرة الله عز وجل، وعجائب صنعه.

والآن إلى شيء من التفصيل حول قصة مولد المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ كما وردت في القرآن الكريم ؛ قال تعالى ﴿ إِذ قَالَتِ الْمَلاَئكَةُ يَمَرْيَمُ إِن الله يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا والأَخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ الله يَخْلُقُ مَايَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمِهُ الْكِتَابَ والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ وَالإنجيل ﴾ (٢)

وتروي لنا هذه الآيات قصة البشارة التي أرسل لله بها رسوله من الملائكة إلى مريم ابنة عمران البتول الطاهرة ويالها من بشرى عظيمة نالت بها هذه الصديقة شرفا لم امراة سواها من نساء العالمين " فظاهر القرآن والأحايث يقتضي أن مريم أفضل من جميع نساء

(١)سورة النساء ١٥٧

(٢)سورة آل عمران ٤٥-٤٨

العالم من حواء إلى آخر امرأة تقوم عليها الساعة فإن الملائكة قد بلغتها الوحي عن الله عز وجل بالتكليف والإخبار والبشارة.. وكذلك رواه موسى ابن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ " سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسيه " وهذا حديث حسن يرفع الإشكال " (١)

ولم يرد في القرآن الكريم ما يفيد أن هذه البشارة ألقيت إلى مريم وهي طفلة صغيرة، كما لم أجد فيها اطلعت عليه من السنة المطهرة ما يفيد ذلك مع أن القول بذلك يحتاج إلى دليل قوي إذ أن هذا الأمر لا يقل في أهميته كمعجزة عن كلام عيسى في المهد أو بقية معجزاته ـ عليه السلام ـ فالذى تطمئن إليه النفس ويؤيده العقل هو أن الملائكة بشرت مريم بالمسيح ـ عليه السلام ـ بعد أن كبرت وتأهلت للمخاطبه.

هذا وأما من خاطب مريم من الملائكة فأمر فيه خلاف. فهناك من يقول بأن الذي خاطب مريم هو جبريل ـ عليه السلام، وأن الخاطب عن الواحد بصيغة الجمع جائز في لغة العرب، يقول القرطبي(٢) " وفي التنزيل " ينزل الملائكة بالروح من أمره "يعني جبريل" والروح الوحي، وجائز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع. وجاء في التنزيل " الذين قال لهم الناس يعني نعيم ابن مسعود ". وشبيه بذلك نداء الملائكة لزكريا في قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٣) " ويرى فريق من المفسرين أن الذي ناداه هو جبريل وحده " (٤)

إن هناك قولين:أولهما:جماعة تقول إن الخطاب وجه إلى مريم من الله عز وجل بواسطة جمع من الملائكة،ثانيهما:جماعة تقول إن الخطاب كان بواسطة جبريل ـ عليه السلام ـ وهو ما يترجح عندي؛ لاسيما وأنه قد وردت في سياق قصة مريم أنه تمثل لها بشرا سويا، ولاشك أنه كان واحدا حينذاك، ومعلوم كذلك أنه أمين الوحي. وأما التعبير بلفظ الملائكة عنه ـ عليه السلام ـ فإنه لا ينهض وليلا على أن المخاطبين كانوا جمعا، ذلك أن

---

(١) القرطبي:الجامع لأحكام القرآن ، ٤/ ٨٣ .

(٢)المصدر السابق ، ٤ / ٧٤ .

(٣)سورة آل عمران: ٣٩

(٤)محمد سيد طنطاوى:التفسير الوسيط ـ ـ ص ١٢١

استعمال لفظ الجمع بقصد الواحد في لغة العرب أسلوب معتاد، وله أغراضه البلاغية المعروفة.

ومما يجدر ذكره أن البعض استدلوا بمخاطبة الملائكة لمريم على قولهم بنبوتها. وهذا لا يكفي دليلا على ما ذهبوا إليه للآتي:

١-أن الملائكة خاطبت أناسا غير مريم ولم يقل أحد بنبوتهم " وقد روي انهم كلموا رجلا خرج لزيارة أخ له في الله تعالى وأخبروه أن الله سبحانه يحبه كحبه لأخيه فيه ولم يقل أحد بنبوته " (١)

٢-ورد في كتاب الله في معرض تقرير حقيقة كل من المسيح ـ عليه السلام ـ وأمه أنه رسول، وأنها صديقه، قال تعالى: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٢)

وقد وردت هذه الآية ردا على ضلال النصارى في قولهم: "بأن المسيح هو الله" تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ فشاء الله تعالى أن يبين لهم حقيقة من ادعوا أنهم له شركاء فعلمنا بذلك حقيقة مريم رضي الله عنها.

والسؤال هنا ما صفة حديث الملائكة مع مريم رضي الله عنها؟

الواقع أنه لا يترتب على معرفة ذلك عظيم أمر ولكن لا بأس من معرفة ما دار حوله،وقد وجدنا أن هناك من يقول بأن الحديث كان مشافهة من الملائكة لمريم ويقول آخرون بأن الحديث معها كان إلهاما لا شفاهة.

يقول العلامة الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَئِكَةُ يَامَرْيَمَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَلَمِينَ ﴾ (٣)

" وقول الملائكة لها ذلك كان شفاها على مادلت عليه الأخبار ونطقت به الظواهر وفي بعض الآثار ما يقضي تكرر هذا القول من الملائكة لها، فقد أخرج ابن جرير عن

---

(١)الألوسي:روح المعاني ، ٣ / ١٥٤

(٢)سورة المائدة: ٧٥

(٣)سورة آل عمران آية ٤٢

ابن اسحق أنه قال: كانت مريم حبيسا في الكنيسة (١)...... والملائكة في ذلك مقبلة على مريم بالبشارة يامريم إن الله اصطفاك..... وقيل إن الملائكة عليهم السلام ألهموها ذلك"(٢)

والراجح – والله أعلم– أن الخطاب مع السيدة مريم كان مشافهة ذلك أن ما دار من الحديث بينها رضي الله عنها وبين الملك الذي تمثل لها بشرا سويا، يدل على ذلك فهي عندما رأته ظنته بشرا وخاطبته خطابها للبشر:﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ (٣)

ورد عليها الملك بصفة لم تنكرها فدل على أن الخطاب كان كما اعتادت أن تسمع، بل إن هناك من قال بنبوة مريم بسبب هذا التكليم (٤).

وقال تعالى:﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَمَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٥)

هذه البشارة من الحق تبارك وتعالى إلى مريم ابنة عمران أم عيسى – عليه السلام – هي البداية لما صاحب هذا الحدث العظيم من المعجزات والأحداث.

وما أعظم هذا المولود الذي جاء بشارة من الخالق جل وعلا، بل ويرد اسمه صريحا في البشارة في قوله تعالى ﴿ اسمه المسيح عيسى بن مريم ﴾. ويكفي عيسى – عليه السلام – وأمه فخرا ذلك. فما بالك وقد وردت بعد ذلك نعوت الكمال البشري لهذا المولود المبارك

---

(١)تعبيره عنه بالكنيسة مما لا نستريح له إذ أن الكنيسة علم على متعبد النصارى الان ولم تكن النصرانية حينئذ قد وجدت.

(٢) الألوسي: روح المعانى ، ٣ / ١٥٤ .

(٣)سورة مريم: ١٨-٢١

(٤)ابن منظور:لسان العرب المحيط ق. ي صـ ١٨٩ دار لسان العرب – بيروت

(٥)سورة آل عمران: ٤٥-٤٧

في آيات تتلى. فهو وجيه في الدنيا ــ ولقد أفنى أقوام في سبيل ذلك الأموال والأعمار ــ ولكن عيسى ينال شرفا ما بلغوه في هذا المضمار. ثم لا يكون وجيها في الدنيا فحسب، بل هو كذلك في الأخرة.

وإنه علاوة على ذلك كله لمن المقربين عند الله سبحانه وتعالى: " إشارة إلى رفعه إلى السماء وصحبته الملائكه " (١)

ولقد أوتي عيسى ــ عليه السلام ــ معجزات لم تجتمع لأحد غيره فهو يكلم الناس في المهد، وقد سبق هذه ما هو أعظم منها ــ وما تفرد به عيسى من بين سائر خلق الله من البشر ــ فقد حملت به أمه من غير لقاء برجل ولم يكن ذلك لأحد سواه.

وأما كلامه في المهد فكان تبرئة لساحة أمه البتول رضي الله عنها وقد تكالب عليها المفترون يقذفونها بأقذع الصفات وهي على تلك الحال. أم تحمل بين ذراعيها فلذة كبدها ولم يمضى على ولادته إلا اليسير من الوقت فكم هي بحاجة إلى من يرأف بحالها، ويصلح من شأنها، ويتولى رعاية مولودها إلا أن مريم لم تجد من يفعل لها شيئا من ذلك. بل الذي حدث كان على النقيض. فهاهم أولاء مجموعة من العتاة ــ مسلوبي الرحمة والشفقة، بل وأهم من ذلك قد سلب هؤلاء وقومهم الإيمان إلا بالماديات، وضعف عندهم اليقين بالمغيبات ــ هاهم قد تحلقوا على أم عيسى وأخذوا يرمونها بالفرية تلو الأخرى وينشون عرضها كالسباع الضاريات، وهي تتلفت يمنة ويسرة هل من مغيث؟

وبينما هي كذلك انبرى للدفاع عنها آخر من يتوقع منه الدفاع. هاهو ذا عيسى يسري عن أمه الحائرة، ويرد على المعتدين بالقول الفصل ويكلمهم وهو في المهد، ويسكتهم ويبدو ظنونهم السيئة، ثم يلتفت إلى أمه ويصف لها دوائين هي في أمس الحاجة لهما في ذلك الموقف. فالنخلة ستساقط عليها الرطب إذا ما هزت يسد الرمق ويعيد القوة المنهارة، والصوم عن الكلام عبادة يشتد بها الإيمان ويقوى بها اليقين فترتفع الروح المعنوية وتثبت بعد الاهتزاز من جراء الأحداث الجسام المتلاحقة. وسيروما نطق به عيسى – عليه السلام – بعد قليل إنشاء الله عند ذكر الآيات المتعلقة بمولده سورة مريم. وورد أن كلامه – عليه السلام – في

---

(١) الألوسي: روح المعاني جـ ٣ ص ١٦٢ ؛ النيسابوري :غرائب القرآن ورغائب الفرقان على هامش الطبرى ، ٣ / ١٩٩ المطبعة الأميرية ١٣٢٥ هـ

المهد، وعندما يكون كهلا إنما هو من معجزاته وبشارة بأنه سيبلغ الكهولة، وإلا فإن كلامه في سن الكهولة ليس مما يختص به. " قال المهدوي: وفائدة الآية أنه أعلمهم أن عيسى عليه السلام يكلمهم في المهد ويعيش إلى أن يكلمهم كهلا " (١)

وأما ما قاله ـ عليه السلام ـ عندما تكلم في المهد، فهذا ما سيرد إنشاء الله بشيء من التفصيل في مكان آخر من هذا الفصل.

ونلاحظ أن مريم رضي الله عنها وهي تفاجأ بهذه البشارة تتوارد عليها التساؤلات إذ هذا الذي بشرت به شيء عظيم وغريب " قالت رب أنى لي ولد ولم يمسسني بشر "

فالمعهود أن الولد لا يكون إلا ثمرة اللقاء بين الرجل والمرأة " قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون "

﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إسرائيل أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِآيةٍ مِّن رَّبِكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيراً بِإِذْنِ الله وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوتَى بِإِذْنَ الله وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتَكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً لَّكُم إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُم وَجِئْتُكُم بِآية مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ الله وَأَطِيعُونِ * إِنَّ الله رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٢)

كل ذلك ورد في معرض البشارة لمريم رضى الله عنها، فوليدها سيكون رسولا إلى بني إسرائيل، وصاحب كتاب، ثم إنه سيؤتى من المعجزات مالم يؤته أحد من قبله فهو يحيى الموتى، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا، ويبريء الأمراض، وكل ذلك بإذن الله.

فأي شرف ينتظرها؟ وأي بركة تلك التي ستحل في دارها؟ زذلك ما تدركه عابدة الطاهرة كمريم البتول.

أما الآن فننتقل إلى حشد أخر من الآيات في كتاب الله حول قصة ميلاد المسيح ـ عليه السلام:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤ /٩٠

(٢) سورة آل عمران: ٤٩-٥١

قال تعالى:﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (١).

إن التفصيل في قصة المسيح – عليه السلام – وأمه وميلاده هنا أكثر منه في مكان آخر في القرآن الكريم. بل إن السورة التي منها هذه الآيات سميت سورة مريم نسبة إلى أم عيسى.

ومريم العابدة المصطفاة أهل لمكرمة ربانية ولأن تكون هي وابنها آية مخلدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وها هو ذا رسول ربها إليها ليهب لها غلاما زكيا. إذ بينما هي منفردة منعزلة عن أهلها وذويها في بعض حاجتها إذا هي برجل سوى الخلقة مكتملها يقتحم عليها خلوتها رغم حرصها واتخاذها الحجاب، فتنتفض مذعورة وقد خشيت أن يكون هذا الذي داهمها فجأة في مكان خلوتها (٢) صاحب قصد سيء فما كان منها إلا أن لجأت إلى حصن

---

(١)سورة مريم: ١٦-٣١

(٢)ورد حول هذا المكان أقوال عدة فقيل إنه دارها وقيل أنها خلوة بالجبل، وقيل أنها كانت في طريقها لستقي ماء، وقيل غير ذلك.

والراجح- والله أعلم- أنه مكان شرقي المكان الذي كانت تقتم فيه. إذ في قوله تعالى ﴿ فاتخذت من دونهم حجابا ﴾ ما يدل على أنها لم تبتعد كثيرا عن أهلها.

حصين، وسند قوي " قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ". فهي تستحث مشاعر التقوى في ذهن القادم، وتستعيذ بالخالق جل وعلا مما ألم بها وأفزعها (١).

فماذا قال لها عندئذ؟ ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لأهب لَكِ غُلَاماً زَكِيًّا ﴾ (٢) ولكن من هو هذا القادم على هذه الحال؟

يقول تعالى: ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾ أظهر الأقوال أن المراد بقوله (روحنا) جبريل.

ويدل لذلك قوله: نزل به الروح الأمين الآية وقوله قل نزله روح القدس من ربك بالحق الآية وإضافته إلى الله إضافة تشريف وتكريم " (٣).

وقد بادر جبريل - عليه السلام - بإخبار مريم رضي الله عنها بمهمته التي أرسل من أجلها فهو مبعوث الحق تبارك وتعالى الذي استعاذت به مريم البتول. ولماذا؟ ليهب لها غلاما زكيا.

ومما نلاحظ أن الملاك عندما خبرها عن الغلام قال " لأهب لك غلاما زكيا " فهذا الغلام طاهر بعيد عن كل ريبة وتهمة. إلا أنها لفرط تعجبها وحولها لا زالت تتساءل كيف يمكن أن تؤتى هذا الغلام رغم الموانع التي ذكرتها.

وأما قوله تعالى ﴿ لنجعله أية ﴾ فالمعنى " فالمعنى ولنجعل هذا الغلام أوخلقه من غير أب آية للناس يستدلون بها على كمال القدرة..... (ورحمة منا) أي ولنجعله رحمة عظيمة كائنة منا للناس لماينالونه منه من الهداية والخير الكثير، لأن كل نبي رحمة لأمته " (٤)

---

ومما يجدر ذكره أن اختيار مريم لجهة المشرق وميلاد عيسى - عليه السلام - فيه كان سببا لتعظيم النصارى لجهة المشرق كما أورد ذلك القرطبي وغيره من المفسرين، وذكروا في ذلك عدة آثار أشهرها ما ورد في تفسير القرطبي ج ١١، ص ٩٠، " حكى عن ابن عباس أنه قال: إني لأعلم الناس لما اتخذ النصارى المشرق قبله، لقول الله عز وجل: إذا نتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسى - عليه السلام - قبله ".

(١)غرائب القرآن ورغائب الفرقان بهامش تفسير الطبري، ١٦/ ٣٩. بتصرف.

(٢)سورة مريم: ١٩.

(٣) الشنقيطي:أضواء البيان، ، ٤/ ٢٢٦.

(٤)الشوكاني:فتح القدير جـ ٣ صـ ٣٢٨،دار الفكر للطباعة والنشر.

بعد الحوار الذي دار بين مريم رضي الله عنها وجبريل – عليه السلام – اطمأنت نفس مريم، ونفذ أمر الحق تبارك وتعالى فدنا جبريل منها وتم النفخ (١) على حد قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢)

" وكم مدة حملها عن ابن عباس في رواية تسعة أشهر كما في سائر النساء لأنها لو كانت مخالفة لهن في هذه العادة لناسب أن يذكرها الله تعالى في أثناء مدائحها وقيل ثمانية أشهر ولم يعش مولود لثمانية إلا عيسى..... وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل حملته في ساعة ووضعه في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس في رواية أخرى كما حملته نبذته لقوله تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله ﴾ إلى قوله ﴿ كن فيكون ﴾ ولقاءات التعقيب في قوله ﴿فحملته فانتبذت به..... ﴾ (٣)

والراجح –والله أعلم– ما قاله ابن كثير من أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن.

وكما اختلف في مدة الحمل فقد تعدوت الآراء حول عمر مريم رضي الله عنها عند حملها بالمسيح – عليه السلام – " قيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد حاضت حيضتين قبل أن تحمل " (٤)

(فانتبذت به مكانا قصيا) أي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد " والجمهور على أن المكان المذكور بيت لحم " (٥)

والذي يمكن الاطمئنان إليه هو أن هذا المكتن ليس خارجا عن البلد التي وقع فيها الحمل وهو على الارجح بيت لحم. وذلك أن السفر من فلسطين إلى مصر على حمار سفر طويل لا يناسب مدة وظروف الحمل

" فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا "

وهكذا تقترب ساعد الميلاد، وتتسارع معها دقات قلب مريم البتول ويتحفز التأريخ لتسجيل الحدث، ولنا أن نتصور مريم وقد فاجأتها آلام الولادة واخذت تبحث عن مكان

---

(١)روح المعاني ، ٣ / ١١٦

(٢)سورة الأنبياء: ٩١

(٣)غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ١٦ / ٤٠

(٤)روح المعاني ، ١٦ / ٧٩

(٥) أضواء البيان ٤٠ / ٢٤٠

تلتجئي إليه يواريها عن الأعين، وتجاذبتها الأفكار من كل نوع، فهي مقبلة علـــى ولادة، وفي حاجة إلى من يعينها على تدبر أمرها، ويطمئنها على مولودها، ويصلح من شأنها.

وهي مع هذا تخشى الأعين وتتوارى عن البشر خافة أن يساء بها الظن.

نعم فها هو ذا جذع نخلة يابس، وألم المخاض لم يمهل مريم فلتقترب منه ولتمسك به لعلها تجد فيه معينا على التماسك.

يقول العلامة الألوسي عن جذع النخلة المشار إليه في الآية:" وقيل أن الله تعالى خلقها لها يومئذ وليس بذاك، وكان الوقت شتاء ولعل الله تعالى أرشدها إليها ليريها فيما هو أشبه الأشجار بالإنسان من آياته ما يسكن روعتها كأثمارها بدون رأس وفي وقت الشتاء الذي لم يعهد ذلك فيه ومن غير لقاح كما هو المعتاد، وفي ذلك إشارة أيضا إلى أصلها ثابـت وفرعها في السماء، وإلى أن ولدها نافع كالثمرة الحلواء وأنه ـ عليه السلام ـ سيحيى الأموات كما أحياء الله تعالى بسببه الموات مع ما في ذلك من اللطف يجعل ثمرتها خرسة لها"(١).

وورد عند كثير من المفسرين أنها تمنت الموت لأنها خافت أن يظن بها الـسوء فـي دينها وسياق قصتها يدل على ذلك. وقيل أيضا أن تمنيها الموت كان حذر وقـوع النـاس بسببها في البهتان.

وبينا هي كذلك يخبرنا الحق تبارك وتعالى عنها بقوله: ﴿ فَنَادَهَا مِن تَحْتِهَا الاَّ تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّـا * فَكُلِـى وَاشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِى إِنِى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّـمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ (٢)

قيل أن المنادي عيسى ـ عليه السلام ـ " وقيل أن النداء كان من جبريل ـ عليه السلام ـ " قـال الشوكاني (٣) عند تفسير قوله تعالى فناداها من تحتها، " أي جبريل لما سمع قولها وكان اسفل منها تحت الأكمه، وقيل تحت النخلة، وقيل المنادي هو عيسى ".

---

(١)روح المعاني ، ١٦ /٨١

(٢)سورة مريم ٢٤ـ ٢٦

(٣)فتح القدير، ٣/ ٣٢٩

والأرجح- والله أعلم- أن المنادي هو عيسى إذ أنه أقرب في الذكر من جبريل فهو المراد في قوله تعالى (فحملته) وفي قوله (فانتبذت به) ولا يوجد قرينة لصرف الضمير المذكور في قوله تعالى (فناداها) عنه. ويدل على ذلك أيضا أنها لما جاءت بـه قومها تحمله، وقابلوها باللوم والإتهام أشارت إليه ـ ﷺ ـ ليخاطبوه، وفعلها هذا يدل على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم لما كان منه عندما وضعته.

وأما السري المراد في قوله " قد جعل ربك تحتك سريا ". فيرى البعض أنه جدول ماء أو نهر صغير. ويرى آخرون أن المراد به ـ عيسى ـ ﷺ ـ، والري في لغة العرب هو الرجل الذي له شرف ومروءة

والراجح -والله أعلم- أن المقصود السري هنا هو الجدول، أو النهر الصغير. وذلك أن الحق تعالى قال بعد ذلك (فكلي واشربى) فالأكل من الرطب الذي يتساقط عليها من تلك النخلة التي أحياها الله لها والشرب يكون من هذا النهر الذي أجراه الله لها بالماء الصافي، فتأكل وتشرب وتقر عينها ﴿ فكلي واشربي وقري عينا ﴾ أي فكلي من الجني واشربي من السري وقري عينا برؤية الولد النبي(١) يقول الطبري(٢) " يقول تعالى ذكره فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك واشربي من ماء السري الذي عينا يقول وطيبى نفسا وافرحي بولادتك إياي ولا تحزنى "

وقال تعالى ﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ﴾.

لما اطمأنت مريم رضي الله عنها وهدات نفسها بعدما رأت من الآيات والمعجزات، وزالت عنها أتعاب الولادة وأصبحت قادرة على الأنتقال بوليدها حملته وعادت من المكان الذي تنحت إليه على ماورد آنفا إلى حيث قومها وأهلها. وما أن أقبلت عليهم وفي يدها المولود حتى هبوا لمساءلتها وتعنيفها فقد ظن بها بعضهم ظنا سيئا ولكن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا يقول القرطبى(٣) " وقال السدي ووهب ابن منبه: لما أتت به قومها تحمله

---

(١)الجامع لأحكام القرآن ، ١١ / ٩٦

(٢)جامع البيان في تفسير القرآن ، ١٦/ ٥٦

(٣)الجامع لأحكام القرآن ، ١١ / ٩٩

تسامع بذلك بنو إسرائيل، فاجتمع رجالهم ونساؤهم، فمدت امرأة يدها إليها لتضربها فأجف الله شطرها فحملت كذلك. وقال آخر: أراها إلا فأخرسه الله تعالى، فتحامى الناس من أن يضربوها أو يقولون لها كلمة تؤذيها وجعلوا يخفضون إليها القول ويلينون، فقالوا: يا مريم لقد جئت شيئا فريا أي عضيما "

وأعظم من ذلك ـــ مما لا خلاف عليه ـــ أن الله سبحانه وتعالى أنطق هذا الإبن المبارك ليتولى هو الدفاع عن أمه الطاهرة الزكيه.

وبعد أن سمعت مريم منهم ما يثقل على الأبرياء الأطهار سماعه، أشارت إلى هذا المولود المسجى في حضنها.

ولاشك أن إشارة كهذه، أثارت إنكارهم وتعجبهم " قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا "؟

فلم يمهلهم المسيح ـــ عليه السلام ـــ بل عاجلهم بالكلام مثبتا لهم مظهرا من مظاهر القدرة الإلهية وكان أول مانطق به الاعتراف بالعبودية لله عز وجل، وقد " روي أنه ـــ عليه السلام ـــ كان يرضع فلما سمع ما قالوا ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته فقال ما قال..... وفيه رد على من يزعم ربو بيته، وفي جميع ما قال تنبيه على براءة أمه " (١)

ويمثل ذلك قال القرطبي. وفي قوله (آتانى الكتاب) خلاف في وقت إيتائه إياه، " قيل اتاه في تلك الحال الكتاب، وفهمه وعلمه، وآتاه النبوة..... وهذا في غاية الضعف...... وقيل: أي حكم لي بإيتاء الكتاب والنبوة في الأزل وإن لم يكن الكتاب منزلا في الحال، وهذا أصح " (٢)

والتعبير هنا بلفظ الماضي في قوله (آتاني الكتاب) مع أن هذا سيقع في المستقبل كان تأكيدا لتحقق الوقوع. وله في القرآن الكريم نظائر، كقوله تعالى ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم ﴾ (٤).

---

(١)روح المعاني حـ ١٦ صـ ٨٩.

(٢)الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٢

(٣)سورة النحل: ١

(٤)سورة الزمر: ٧٣

ويرى كثير من المفسرين أن قوله (وجعلني مباركا) إشارة إلى ما وهبه الله تعالى من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، بالإضافه إلى تعليمه الخير والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي قوله (وبرا بوالدتي) إشارة واضحة إلى أنه ـ عليه السلام ـ لا والد له، وهو من أقوى الأدلة على براءتها رضي الله عنها. " قال ابن عباس لما قال (وبرا بوالدتي) ولم يقل بوالدي علم أنه شيء من جهة الله تعالى " (١)

والراجح- والله أعلم- أنه عاد إلى حال الأطفال من أمثاله، وإنما كان إنطاق الله تعالى له في هذه السن والحال معجزة له وتبرئة لأمه الطاهرة مما رماها به قومها من البهتان. يقول القرطبي رحمه الله(٢) " وروي أن عيسى ـ عليه السلام ـ إنما تكلم في طفولته بهذه الآيه، ثم عاد إلى حالة الأطفال، حتى مشى على عادة البشر إلى أن بلغ الصبيان فكان نطقه إظهار براءة أمه لا أنه كان ممن يعقل في تلك الحاله، وهو كما يَنطق الله تعالى الجوارح يوم القيامه، ولم ينقل أنه دام نطقه ". ويقول الشوكانى(٣) " قيل إنه لم يتكلم المسيح بعد هذا الكلام حتى بلغ المدة التي تتكلم فيها الصبيان في العادة ".

وهكذا يتبين لمتتبع قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم أنها تعرض في بلاغة ووضوح، وترد على اليهود والنصارى في ضلالاتهم، وتين المكانة الرفيعه لمريم رضي الله عنها بين نساء العالمين ولنبي عيسى ـ عليه السلام ـ بين إخوانه الأنبياء.

القرآن والحكمة من ميلاد عيسى ـ عليه السلام ـ بدون أب:

١- إثبات حقيقة الروح بين قوم أنكروها: فلم يكن لعالم الروح في الفكر اليهودي يومئذ مكان، فهم يردون كل شيء في الحياة إلى أسبابه المادية، وأرجعوا جميع المعلولات إلى عللها المادة، وشاع بينهم إنكار الروح، وأن الإنسان ليس إلا جسدا فقط، بل وأنكروا

---

(١)تفسير القرطبي ـ جـ ١١ صـ ١٠٣

(٢)تفسير القرطبي ـ جـ ١١ صـ ١٠٣

(٣)تفسير فتح القدير ـ جـ صـ

اليوم الآخر وما فيه. فكان دينهم في حقيقته تجارة، وعقيدتهم كذب ومخادعة. وخلاصة القول أنهم كفروا بالروح واستغرقوا في المادة.

٢ ـ إثبات قدرة الخالق جل وعلا: وكان أن خلق الله سبحانه وتعالى عيسى ـ عليه السلام ـ على هذا النحو للدلالة على قدرته وعظمته، وتذكيرا لأولئك الناس بعالم الغيب، وبحقيقة ما وراء المادة.

ففي هذا المجتمع الذي لا يعرف المسببات إلا بأسبابها الطبيعية وبعللها المادية، ويؤمن بما وراء ذلك من القوة الغيبية، يأتي عيسى ـ عليه السلام ـ على نحو مخالق للسنن المادي الذي ألفوه، ولا يؤمنون إلا به، وحيث أن الإيمان بقدرة الخالق جل وعلا أمر يتطلب من المؤمن أن ينفذ بقلبه إلى ما وراء المادة وأن المجتمع اليهودي في ذلك الوقت كان قد استعبد للمادة، وأصبح لا يكاد يذكر ما وراءها، فقد كان مولده ـ عليه السلام ـ من أم بلا أب وإنما بكلمة من الله وروح منه ضربا من التحدي الإلهي لهؤلاء القوم المعرضين، ودعوة للعقلاء منهم للتنبه إلى قدرة الله وعدم الإصرار على السير في درب الضلال والعصيان وإعلانا لعالم ما وراء المادة حين ذهبوا في الكفر به كل مذهب.

إن المتتبع لأحوال اليهود إبان مولد المسيح ـ عليه السلام ـ يرى أن في خلقه على الكيفية التي خلق عليها تذكيرا بقدرة الخالق ودليلا عليها في نفس الوقت فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ومن العجيب ألا يستجيب القوم لآية كهذه مع ما فيها من تجلي قدرة الله سبحانه وتعالى، ومع ما صاحبها من دلائل الإعجاز.

٣ ـ استكمال ضروب القسمة العقلية لخلق الإنسان: إن المتأمل في خلق الإنسان ليجد أن ضروب القسمة العقلية في خلقه بالنسبة إلى الأسباب. الوسائط أربعة:

أ- أن يخلق الله تعالى إنسانا بغير واسطة على الإطلاق، أي بلا أب ولا أم.

ب-أن يخلق الله سبحانه إنسانا بواسطة الأم والأب جميعا.

ج-أن يخلق الله جلت قدرته إنسانا بواسطة الأب دون الأم.

د- أن يخلق الله تعالى إنسانا بواسطة الأم دون الأب.

وقد تحقق القسم الأول بخلق الله أدم ـ عليه السلام ـ.

وتحقق القسم الثانى بالخلق المعتاد للناس أجمعين.

وتحقق القسم الثالث بخلق الله حواء من ضلع آدم، فقام منها مقام الأب. وبقي الضرب الرابع من القسمة العقلية لكي يكتمل في أفهامنها البرهان على قدرة الله سبحانه على الخلق في منأى عن سلطان الأسباب، وغنى عن العلل المادية التي نألفها ونراها، ونأنس لتحقيق الحدث بواسطتها، وهذا الضرب الرابع نلمس في خلق عيسى ـ عليه السلام ـ على النحو الذي خلق عليه ـ تحقيقا له، وبه كملت هذه الأقسام الأربعة لضروب القسمة المتبادرة إلى الذهن عند التفكر في خلق الإنسان، فتعالى الله جلت قدرته(١)

## المبحث الثالث

## قضايا الحلول والإتحاد والتجسد

إن للنصارى في تبريرهم لتأليه المسيح - عليه السلام - أقوالا عجيبة فيها من الخلط والمغالطة ما لا يخفي على ذي عينين، وهم في ذلك يمزجون الإله بالعبيد ويصفونه بصفاتهم، ويرفعون المخلوقات إلى منزلة الخالق ويخلعون عليها ما يخصه من صفات حتى يكون الجميع عندهم واحدا وحتى يحل الإله في البشر تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

يقول كيرلس الكبير:" ذا فحياة الإنسان مع الله انقلبت في واقعها حياة الله مع الإنسان وهذا هو الضمان العجيب الذي ضمنه لنا المسيح بتجسده.. لا تكفي نحيا نحن بالجسد معه وحسب عن قرب مثل آدم، بل لكي يتحد هو بنا ونحن نتحديه منذ الآن بالروح بسر الإيمان والكلمة، وبسر الجسد والدم الإلهيين، لنصير واحدا فيه... يقول يوحنا الرسول مؤكدا " أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر ستكون مثله لأننا سنراه كما هو "... مرة أخرى أقول بتجسد ابن الله وميلاده بشريا كإنسان وهو الله، ودخل الإنسان دخولا حاسما ومهيبا بسر لا ينطق به في بنوية الله غبر منفصلة وغير مائته.. ولكن مرة أخرى يفتح ذهننا يوحنا الرسول لكي ندرك أنها ليست بنوية معنوية، كأن يقول إنسان أنا ابن فلان بالروح أو بالمحبة أو بالطاعة، بل هي بنوية ميراث ذي صفات متحدة كما يولد الطفل أبيض الجلد أزرق العينين من أب وأم لهما هذه

---

(١)انظر:محمد أبو زهرة: دراسات في النصرانية ؛أحمد شلبي: مقارنة الأديان ـ المسحية ؛ رحمة الله الهندي: إظهار الحق.

الصفات، وكما يولد الطفل أسود الجلد عريض الشفتين من أب وأم لهما هذه الصفات، لا يجاهد الابن قط ليكون شكل أبيه بل عليه أن يجاهد حتى لا يفقد شكل أبيه وصفاته التي ورثها منه هكذا نلنا شكل المسيح الروحي وصفاته وما أصبح علينا إلا أن نجاهد بكل ثقة الإيمان ومؤازرة روح المسيح ألا نفقد ميراثنا فيه... ومرة أخرى حينما نعود إلى ميلاد المسيح في بيت لحم وننظر كيف نرى ابن الله صار جسد كواحد منا، له شكلنا تماما وله مالنا من جسد ونفس وروح وعقل وحواس وكل شيء ما خلا عيب الخطيئة، علينا في الحال أن نرفع بصيرتنا الروحية العميقة لنؤمن أننا في المعمودية حينما نولد لله نحن أيضا بدورنا ميلادا روحيا سماويا من الله بسر غير منظور، نأخذ من المسيح ابن الله من الصفات والإمكانيات والقدرات والمواهب الروحية غير المنظورة وغير البشرية بالقدر وبالجرأة وبالإعجاز التي أخذ بها ابن الله ما هو من بشريتنا... كما يقول الآباء، وصار إبنا للانسان لكي نصير نحن أبناء الله فيه، وصار بشرا لكي نصير نحن متألهين فيه "(١).

والآن سنناقش قضية الحلول والاتحاد عند النصارى على النحو التالي:

**أولا: قضية الحلول:**

الحلول :معناه الحصول على جهة التبعية وهو ينافي الوجوب لأن الحال في شيء يفتقر إليه في الجملة سواء كان حلول جسم في مكان أو عرض في جوهر أو صورة في مادة (كما هو رأي الحكماء) أو صفة في موصوف كصفات الموجودات والافتقار إلى الغير ينافي الوجوب الذاتي والحلول على الله تعالى محال لأنه لو حل في غيره لكان حاصلا فيه على سبيل التبعية ومحتاجا إليه وللزوم إما قدم المحل وهو حادث أو حدوث الحال وهو قديم.

وبالتالي فكل ما تقدم باطل، فالقول بالحلول على الله تعالى محال وإذا كان من المحال حلول ذاته تعالى في غيره، فكذلك من المحال حلول صفته في غيره لأن انتقال الصفات محال إذ الانتقال من خواص الذوات المتميزة والأجسام (٢).

الأدلة على إبطال القول بالحلول:

---

(١)التجسد الإلهي، للقديس كيرلس الكبير، ص ٩ – ١٣ باختصار.

(٢) التفتازاني:شرح المقاصد ، ٢/ ٦٨.

الدليل الأول: لو حل أقنوم الكلمة (الابن) في جسد المسيح أو خالطة فهو في حال الحلول إما ذات وإما صفة؛ فإن كان (أقنوم الكلمة) في حال الحلول ذاتا، فإن فارقت الأب لزم التعدد لأن الانتقال يقتضي الاستقلال في الذات والصفات، وتعدد الآلهة محال ببرهاني التوارد والتمانع كما يلزم أيضا انتفاء الذات بانتفاء جزئها المنتقل وإن لم يفارق الأب لزم وجود ذات واحدة في مكانين مختلفين وشغلها حيزينين في زمان واحد وهو محال.

وإن كان أقنوم الكلمة في حال الحلول صفته، فإن فارقت الأب فقد بقي الله بدون كلمة. وهو نفس لا يليق به تعالى، كما يلزم عليه انتقال الصفات وهو محال لأن الانتقال من خواص الذوات لا الأعراض والصفات، وإن لم تفارقه لزم قيام الصفة الواحدة بمكانين مختلفين في وقت واحد وهو محال (١).

الدليل الثاني: لو حل أقنوم الابن في جسم المسيح فهذا الحلول: إما أن يكون على سبيل الجواز أو على سبيل الوجوب، فإن كان الحلول على سبيل الجواز كان زائدا على ذات الأقنوم القديم، فإذا حل في الجسم وجب أن يحل فيه صفة محدثة، وحلول صفة محدثة في القديم يستلزم كونه قابلا للحوادث، وهو محال لأن قيام الحادث بالقديم يلزمه إما قدم الحادث أو حدوث القديم، وكلاهما محال.

وإن كان الحلول على سبيل الوجوب فإما أن تكون ذاته كافية في اقتضاء الحلول أو لا. فإن كانت ذاته كافية لم يتوقف هذا الإقتضاء على شرط وجود المحل المعد والقابل وعلى ذلك يلزمه إما قدم المحل أو حدوث الأقنوم وكلاهما باطل.

وإن كانت ذاته غير كافية في اقتضاء الحلول كان كونه مقتضيا لذلك أمرا زائدا على ذاته حادثا فيه فيلزم من حدوث شيء فيه. فيكون قابلا للحوادث وهو باطل لأنه لو كان قابلا للحوادث لكانت هذه القابلية من لوازم ذاته. وكانت حاصلة فيه أزلا محال (٢).

الدليل الثالث: وقولهم: " إن أقنوم الإبن الحال بالناسوت إله " قول باطل. لأن الإله غير محدود ولا متناه وقد حل في جسد ابن مريم وهو إنسان محدود ومتناه وذلك باطل،

---

(١) الشامل، ص ٥٨٢ – ٥٨٣، إظهار الحق، ص ٣٣٧، جـ ١.

(٢) المقاصد، ج ٢، ص ٦٨، إظهار الحق، ج١، ص ٣٣٦.

لأنه لو حل اللامحدود بالمحدود للزم إما محدودية اللامحدود أو لا محدودية المحدود وكلاهما باطل.

بيان الملازمة: أنه لو حل الإبن والمفروض أنه إله يحده لا مكان ولا زمان ولا جهة – في جسد الإنسان – وهو محدود لأن أبعاده محصورة متناهية. لأصبح اللامحدود محدود متناهيا لأن الوعاء الذي حل فيه محدود، وكذلك الإنسان المتناهي المحدود يصبح لا محدودا، لأنه أصبح حاويا للامحدود.

وبيان البطلان أن صيرورة اللامحدود محدودا، والمحدود لا محدودا محال، لما فيه من نقص الإله، حيث حل في جزئي محدود، وكذلك صيرورة المحدود الجزئي لا محدودا لكي يصبح حاويا للامحدود، وفيه كذلك قلب للطبائع، لأن قبول اللامتناهي للزيادة والنقصان يجعله ممكنا – والفرض أنه واجب – وذلك يقتضي كون الإبن محدثا والفرض أنه عندهم قديم – وذلك كله ظاهر البطلان (١).

**ثانيا: قضية الاتحاد:**

الاتحاد لغة: افتعال من الوحدة، لأنهم متى اعتقدوا في الشيئين أنهما صارا شيئا واحدا يقولون: أيضا إنهما اتحدا، والشيئان وإن استحال أن يصيرا شيئا واحد، إلا أنهم اعتقدوا صحته لم يكونوا مخطئين في التسمية لأن التسمية تتبع الاعتقاد ولكنهم مخطئون في المعنى وفي هذا الاعتقاد كخطأ المشركين عندما سموا الأصنام آلهة والمعنى الحقيقي للاتحاد: والمتبادر عند الاطلاق هو أن يصير شيء بعينه شيئا آخر ولذلك صورتان:

١–أن يكون هناك شيئان يتحدان بحيث يصير أحدهما الآخر فيكون معنا قبل الاتحاد شيئان وبعده شيء واحد كان حاصلا قبله.

٢–أن يكون هناك شيء واحد فيصير شيئا آخر غيره فيكون معنا قبل الاتحاد شيء واحد وبعده شيء واحد لم يكن حاصلا قبله بل بعده.

وهذا المعنى الحقيقي للاتحاد بصورته باطل فالعقل يحكم بداهة بعدم اتحاد الاثنين أن الاختلاف والتغير اختلاف وتغير بالذات وما بالذات لا يختلف فلا يمكن زواله حتى يتم الاتحاد حقيقة ومع وضوح هذا الحكم فقد ينبه عليه بأن الاثنين: إن عدما بعد الاتحاد

---

(١)الشامل، ص ٥٨٦.

وحدث أمر غيرهما فلا اتحاد مع عدمها ووجود ثالث وإن عدم أحدهما وبقى الآخر فلا اتحاد إذ لا يتحد الموجود بالمعدوم فالاتحاد الحقيقي بين الاثنين محال (١).

الأدلة على إبطال القول بالاتحاد:

الدليل الأول: حقيقة القديم ماليس لوجوده بداية وكان وجوده من ذاته، وحقيقة الحادث ما وجد بعد عدم وكان وجوده من غيره فلو اتحد اللاهوت بالناسوت الحادث فأما أن ينقلب القديم بالاتحاد حادثا أو ينقلب الحادث قديما أو يبقى كل واحد على طبيعته ومحال أن ينقلب القديم حادثا أو الحادث قديما لاستحالة انقلاب الطبائع والحقائق لما يلزمه من كون الشيء الواحد قديما حادثا في آن واحد هو محال ولن يبق مع ذلك إلا بقاء كل واحد على حقيقته وإذا بقيت لكل طبيعته فلا اتحاد أصلا ولا يكون المسيح بالاتحاد إلها لعدم تحقق الاتحاد (٢).

الدليل الثاني: اتحاد اللاهوت بالناسوت لا يخلو من أربعة أحوال:

١- أن يكون بمعنى الاختلاط والامتزاج، كاختلاط اللبن بالماء هو باطل لأن امتزاج القديم بالحادث محال وقد سبق بيانه.

٢- أن يكون بمعنى صيرورتهما شيئا واحدا كالحديد المحماة بالنار - على حد زعمهم - وهو باطل، لأن الحديد جسم والحرارة عوض دخل على الجسم ولا يبقى فرق بين الجسم والعرض. فالتشبيه بذلك مع الفارق فبطل تشبيه الاتحاد به عاى زعمهم.

٣- أن يكون بمعنى المجاورة - كمجاورة الثوب البدن، فلا اتحاد في ذلك لأن الاتحاد هو جعل المتحدين شيئا واحدا بلا تمايز بينهما، والمجاورة ليست كذلك فالاتحاد بين المتجاورين محال ومحال أن يتجاوز القديم والحادث.

٤- أن يكون الاتحاد بمعنى الظهور أو الاتصاف فيصير اللاهوت صفة للناسوت، كالعلم والقدرة وهو محال، لأن انتقال الصفة من موصوف إلى موصوف آخر محال، لما يلزمه من انتقاص الجوهر، بانتقال الكلمة منه لتتحد بالناسوت والنقص على الله محال. ولأن النقص من خواص الذوات لا الصفات، ولو صح انتقال الكلمة على هذا الوجه لصح

---

(١)عبد الجبار بن أحمد:شرح الأصول الخمسة، ص ٢٩٥, تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢)المقاصد، ج ٢، ص ٦٨.

انتقال سائر الصفات الإلهية، وهو محال اتفاقا. على أن الانتقال من خواص الذوات والأجسام لا الصفات فول انتقلت الكلمة لكانت جسما وفي ذلك انقلاب الطبائع كانقلاب الممكن واجبا أو العكس. وهو محال (١).

**ثالثا:قضية التجسد:**

لقد حاول دعاة النصرانية ــ خاصة داعيها الأول بولس ــ أن ياولوا الله تعالي ــ إلي الأرض حتي تراه العيون، وتلمسه الأيدي، ويعيش بين الناس، وفيهم كما يعيش الإنسان أي إنسان.

والتجسد عبارة عن ظهور الله في جسد المسيح واتحاد اللرهوت بالناسوت كما يعتقد بذلك النصاري.

يقول يوحنا في فاتحة انجيله: في البدء كان الكلمة... والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله... كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة والكلمة صار جسدا وحل بيننا(٢)

هذا النص هو إحدى الدعائم القوية التي قامت عليها عقيدة التجسد وهي الركيزة الأولى التي أستند إليها دعاة النصرانية الأولون في تشكيل العقيدة النصرانية وإعطائها انصور التي طلعت بها علي الناس.

لكن من أين بدأت قضية التجسد؟ وما هي الشخصية المتجسدة؟ وما هي كيفية التجسد؟ وما فائدة تجسد الكلمة؟ وما الأسباب التي دفعتهم للقول بالتجسد؟ ونجيب على هذه الأسئلة تباعا.

من أين بدأت قضية التجسيد؟

قضية التجسد هذه بدأت بعد موت المسيح وصلبه على يدي اليهود وكان كل من علا على خشبة عند اليهود وحسب ناموسهم ملعون، ملعون كل من علا على خشبة.

---

(١)الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/٥٣-٥٤؛ الشامل:٥٨٦-٥٩١.

(٢)انجيل يوحنا ١، ١، ٢، ٣، ٤

فهذه النهاية المفجعة للمسيح جعلت أتباعه يفكرون في مخرج يوفقون فيه بين حياة المسيح الذي بهر الناس بمعجزاته وآياته ولطفه ووداعته وعفت لسانه ورحمة قلبه وبين موته ونهايته بهذه النهاية المفجعة المحزنة.

فأنتهوا بعد تفكير طويل إلي أن المسيح ليس بشر وإنما هو إله نزل من السماء لتكفير ذنوب البشر. (١)

وبني على هذا التصور للمسيح أمران: ـ

أولها: ـ أن اللعنة التي حلت بالمسيح في صلبه ليست بالتي تعلق به أو تنزل من قدره كما تعلق بالناس إذا أصابتهم وتمس أقدارهم وتهوي بهم في مهاوي الهالكين ذلك أنه إلهي حين تجسد ولبس ثوب الإنسان وتقلب فيما يتقلب فيه الناس من شئون الحياة وأغراضها.

ثانيهما: ـ أن دم المسيح الإلهي لا يكون كفارة محدودة محصورة في عدد من الناس ولكنه يتسع لحمل ذنوب الناس جميعا.

بهذا ينفتح للناس باب الأمل في المغفرة، إذا هم آمنوا واتبعوا رسله ودعاته كان هذا التصور هو أقرب شيء إلي العقل الذي واجه هذه المفارقات التي كانت في حياة المسيح وفي مماته (٢) .

ولكن ماهي الشخصية المتجسدة؟

قال يوحنا في بدء انجيله نص يوضح لنا مراحل الشخصية المتجسدة عند النصارى إذ قال:

" في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله.... والكلمة صار جسدا وحل بيننا(٣).

فهذا النص لنا التطورات التي تنقلت فيها عقيدة التجسد عند المسيحين وهي ثلاث مراحل:

---

(١)عبد الكريم الخطيب: مرجع سابق، ص ١٣٩

(٢)المرجع السابق، ص ١٤٠

(٣)المرجع السابق: صـ ١٣٩ـ ١٤٠

١-الكلمة (في البدء كان الكلمة)

٢-الابن (والكلمة كان عند الله)

٣-الله (وكان الكلمة الله)

ولكن ما هي الكلمة؟ وما معناها؟

معنى الكلمة لغة:القرآن الكريم كلام الله وكلم الله وكلماتــه، وكــلام الله لا يحــد ولا يعدوهو غير مخلوق.

قال ابن سيدة: الكلام القول، معروف، وقيل الكلام ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملــة والقول مالم يكن مكتفيا بنفسه وهو الجزء من الجمله.

قال سيبويه: ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع النــاس علــى أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقولوا القرآن قول الله.

والقول معناه اللفظ وهي في نظر رجال الفلسفة: المعنى القائم في النفس، والمتجــسد إما في صوت أو كتابة أو رسم، فهي مع شمولها على ما في نفس المــتكلم مــن معنــى، تظهر بالشكل الذي يفهمه المخاطب(١).

معناها الاصطلاحي عند أصحاب الثالوت: " إنه يراد به الأقنــوم المعلــن لله أو " الله معلنا " الذي خلق العوالم بأسرها ولذلك لا يأتي الفعل مع كلمته هنا مؤنثا بل مذكرا "(٢).

ومن ذلك نوى أن معناها عند المسيحين هو " الله معلنا " والكلمة التجسدة: ـــ عنــد المسحسن (المسيح ذات الله).

أن أتباع هذه العقيدة نظروا إلي هذه الكلمة المتجسدة في الجسد البــشري فــرأوا أول الأمر إنسانا مخلوقا على صورة لها حساب خاص غير حساب البشر، إنه أسمى من كــل إنسان، فانه لم يولد من دنس وحبل كما يولد سائر الناس بل ولد بكلمة الله التي اتخذت من مريم الطاهرة جسدا تظهر به في صورة بشر.

ولكن هذا الميلاد الغريب لم يخرجه عن أن يكون مخلوقا لله وانه إن ارتفع فلن يكون في منزلة أعلى من الملائكة، لأن الملائكة لم يلبسوا صورة بشرية، ولأن " المسيح " كمــا

---

(١)ابن منظور :لسان العرب: مج ٢ صـــ ٥٢٢

(٢)عوض سمعان :الله ثالوث وحدانيته ووحدانيه ثالوثه. ص ٦٧ سنه ١٩٨٦

كان ينظر إليه أول الأمر ــ كان مولودا من جسد بشري ولبس جسدا بشريا.... فهو أنزل درجة من الملائكة..

وقد قال بولس ذلك في رسالته إلي العبرانيين فقال:"ولكن الذي وضع قليلا من الملائكة يسوع.. نراه مكللا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت، لكي يزدان بنعمة الله لأجل كل واحد " (١)

ونعلم أن بولس هو الذي دفع بالمسيح إلي مقام الألوهية، بعد أن دخل به إلي العالم السماوي ووصل نسبته بالملإ الأعلى ومع ذلك فإن نظرته إليه هنا لم ترفعه إلي أن يكون ملكا من الملائكة، وكان ذلك النظر إلي المسيح هو أول الطريق الذي سلكه " بولس " لتأليه المسيح.

فكانت الخطوة الثانية التي ادخل بها المسيح إلي ذات الله فكان ابنا لله! وهذه البنوة، بدأت بنوة عقلية، ثم انتهت إلي بنوة نسبية بنوة الله على الحقيقة لا المجاز! !

فتجسد الكلمة الله آخر طور من أطوار تجسد الكلمة في مجال التفكير النصراني فقد قال المسيحيون بهذه المقولات الثلاث وتنقلوا بها من طور إلي طور فلم يقولوا بها زمن واحد بل في أزمان متعاقبة على هذا الترتيب عقل الله ثم ابن الله ثم الله.

وقولهم عن الكلمة إنها عقل الله نتيجة تأثير الفلسفة اليونانية في العقول النصرانية(٢)

التجسد في الفكر النصراني:

اتفق النصارى على تجسد الكلمة ولكنهم اختلفوا فيما بينهم علي كيفية تجسدها إلي آراء متباينة تجملها فيما يلي:

١-منهم من قال أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف.

٢-ومنهم من قال: انطبعت الكلمة في الجسد كانطباع النقش في الشمع.

٣-ومنهم من قال: ظهرت الكلمة بالجسد كظهور الروحاني بالجسماني.

٤-زمنهم من قال: تدرعت الكلمة بالجسد تدرع اللاهوت بالناسوت.

---

(١)الكتاب المقدس ،عبرانيين ٢: ٩

(٢)ول ديورانت :قصة الحضارة ، ١١ / ٢٧٤

٥-زمنهم من قال: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كممازجة اللبن بالماء، والماء باللبن.

٦-ومنهم من قال: إن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا لكنها مرت بجسدها كمرور الماء بالميزاب(١)، فبطنها شكلة لكنها لن تضف إليه شيئا وأصحاب هذا الرأي هم الذين يقولون: إن ما ظهر من شخص المسيح في الأعين فهو كالخيال والصورة في المرآة وليس جسما متجسدا في الحقيقة وان القتل والصلب ـ اللذين يعتقد القوم وقوعهما ـ قد وقعا على الخيال.

٧-أن الكلمة كانت تداخل جسم المسيح ـ عليه السلام ـ حينا وتفارقه حينما آخر وأنه في حين التداخل تصدر عنه الآيات كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك، وفي حين المفارقة ترد عنه الآلام والأوجاع. (٢)

ويتحدث القديس " كيرلس الكبير " عن كيفية هذا التجسد فيراه التصور البشري، ثم يرمز لذلك ببعض الرموز والتشبيهات تقريبا للمعني المراد فيقول مانوجز منه ما يلي: ـ

" إن كيفية الاتحاد عميقة حقا وفائقة لمدار كنا فمن الجهالة التامة أن تخضع للبحث " العقلي " ما يفوق العقل، وأن نحاول أن ندرك بعقولنا الذي لايدرك بالعقل أم لست تعلم أن ذلك السر العميق ننبغي أن يعيد بإيمان بلا فحص؟...... إن كيفية التأنس عميقة حقا وفائقة الوصف وفائقة لمدار كنا؛ فإن هذا السر العميق الذي يفوق العقل ينبغي أن يعيد بإيمان بدون التواء " (٣)

ثم يقول: "بأية كيفية يصير جسد الرب محييا؟ هذا سر لا يستطيع فكر الإنسان أن يسبر غوره، ولا أي إنسان أن يعبر عنه، ولكنه جدير بأن يعبد في صمت وإيمان " (٤)

من يرون أن الله الكلمة قد تجسد بوحدانية لا يعبر عن كيفيتها ثم يواصلون رحلة الخيال الجامحة عن معتقدهم ـ الذي يساويهم في ضلالهم فيه كبير من قساوستهم فيقول: " وإنه كما لانستطيع أن نعرف كيفية الاتحاد الأقنومي: أي كيف وحد المسيح لاهوته

---

(١)الميزاب هو يسمى في أيامنا هذه ما سورة المياة التي يتحرك بداخلها

(٢)انظر الشهرستاني: الملل والنحل بهامش الفصل صـ ٥٩-٦٣ باختصار

(٣)بحث مطبوع في كتيب صغير بعنوان التجسد الإلهي صـ ٢٠.

(٤)المرجع السابق، صـ ٢١.

بناسوته " بالكيفية التي هو وحده يعلمها إلا أننا نستطيع أن نعرف صفات هذا التخاد..... ومن أهم صفاته الآتي:

أ- أنه اتحاد حقيقي، طبيعي، جوهري، أقنومي، وليس مجرد علاقة نسبية أو مشاركة أو سكنى.

ب-أن مانتج عن هذا الاتحاد الطبيعي في تجسد المسيح هو واحد تماما على الـرغم من ان الاتحاد قد تم بين حقيقتين مختلفتين ــ تماما ــ الواحدة عن الأخرى.

ج-أنه اتحاد غير قابل للانفصال.

د- أنه اتحاد بدون امتزاج وتغيير. فاللاهوت لم تيغير إلي ناسوت ولا تغير الناسوت إلي لاهوت.

هـ-أن الناسوت لم يكن له كيان ذاتي قبل الاتحاد، أي أنه لم تكن هنـاك ولا لحظـة واحدة وجد فيها هذا الناسوت بدون أن يكون جسدا للكلمة. (١)

هذه هي عقيدة " اعصب عينيك واتبعني "

الأسباب التي أدت إلى تجسد الكلمة عند النصارى:

أولا:ما ظهر على يد المسيح من أعمال ومعجزات في حياته.

يقول القديس اثناثيوس: " لأن البشر هم بشر ولأن أفكارهم أصبحت بـشرية (ومتـى كانت الاهيه) ففي كل الأمور التي ركزوا فيها حماساتهم وجدوا أنفسهم قـد قوبلـوا فـي منتصف الطريق وعملوا الحق من كل ناحية. (٢)

فهنا يرجع القديس أثناثيوس تجسد الكلمة لما قام على يد المـسيح مـن معجـزات لا يستطيع البشر القيام بها، فلو كانت هذه الأعمال والمعجزات على يد إنسان تكون حجة له عند الناس على أنه ابن الله لكان ذلك مدخلا إلي الفتنة والضلال ولكان يغري كثيرا مـن المغرورين والمشعوذين وأصحاب المطامع بالتسلط على الناس وادعاء الألوهية.

فحلول الله في جسد إنسان هو فتنة لا تعد لها فتنة وهو بهتان وضلال كبير.

---

(١)المرجع السابق حاشية صـ ٢٧.

(٢)أثناثيوس الرسولي: تجسد الكلمة ص ٤٢

ثانيا:تبريرهم لموته على الصليب بأنه من أجل غفران خطيئة البشر التي حملها من أدم:

موته على الصليب بعد حياة مليئة بالمعجزات وخوارق العادات ومحولتهم الترفيق بين نهايته وحياته فقالوا أنه أله متجسد لغفران خطيئة آدم التي حملها البشر من بعده وظلوا حاملين لها حتي جاء المسيح وعفرها لهم بموته على الصليب

يقول القديس أثناثيوس في رسالة تجسد الكلمة:

" عن التحدث عن ظهور المخلص بيننا يتحتم علينا التحدث عن أصل البشر لكي نعلم أن نزوله ـ أي الخلص إلينا كان بسببنا وأن عصياننا استدعي تعطف الكلمة لكي يسرع الرب في إغاثتنا والظهور بين البشر.. " (١)

فهنا يوضح أن المسيح الاله المتجسد قد أخذ لنفسه جسدا من العذراء وجعله ذاته واداة يعلن بها ذاته ويحل فيها فهذا فضلا عما فيه من تشبيه لله بخلقه وإعطائه صورة آدمي بشري ـ تنزه سبحانه عن ذلك ـ فيها أيضا ما يدل على نسبة العجز إلى إله عن مقدرته على الظهور بدون ذلك الجسد البشري واحتياجه إليه والإحتياج ينافي الألوهية فلو كان قادرا كما يقول لماذا أخد من مريم العذارء جسدا ولم يخلق له جسدا بدون الاحتياج لجسد بشري يتكون فيه ليظهر في صورة البشر طالما أنه قادر كما يقول! ولكن أي إله هذا الذي يظهر في صورة البشر يفعل ما يفعلون من الأكل والشرب والمشي والنوم والحدث.... الخ وهو سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون جسما وعن مشابهته للحوادث. فهو سبحانه لا يشبه أحدا من خلقه ولايشبهه أحد، ولو تأخذه سنة ولانوم. وهو العلي العظيم.

ولكن محاولة النصارى تبرير صلب المسيح لكي يمحوا عنه اللعنة قالوا إنه إله صلب لأجل غفران خطيئة آدم التي حملها البشر وصاروا بمقتضاها إلى الموت والهلاك والانغماس في الشرور والآثام حتي جاء المسيح وتجسد فغفر الخطيئة ورفع الموت والهلاك والشرور والآثام عن البشر (٢).

---

(١)المصدر السابق، ص ٢٤

(٢)المصدر السابق، ص ٢٧

ويقول عبد الكريم الخطيب: " لو كان التجسد هو الذي يعيد للانسان وضعه الأول ويرفع الأول ويرفع عنه سلطان الموت والعناء الأبدى لكان ذلك بالأولى أن يقع لآدم منذ اللحظة التي نزل فيها إلى الأرض لا أن ينتظر به حتي يتوالد وتكثر مواليده وأمراته وتمتليء الأرض من هؤلاء ثم تلقاهم الكلمة النتجسدة لتعيدهم إلى الحال الأولى ولتجعل كل واحد منهم صورة من آدم الأول، قبل يلبس ثوب الخطيئة ويدخل في سلطان إبليس!(١)

فهذا التعليل لتجسد الكلمة ونزولها إلى الأرض غير مقبول عقلا ولا موضوعا، إذ أن تجسد الكلمة لم يغير من حال الناس شيئا ولنا أن نسأل هل من مات قبل التجسد من الأنبياء كانوا حاملين لهذه الخطيئة؟ ومن مات بعد الجسد من البشر هل غفرت لهم خطاياهم أم لا؟.

ولكن لما كان قولهم هذا غير كاف فقد قال النصارى بسبب آخر للتجسد وهو: التجسد ليعلن الله عن نفسه وهذا يعتبر سر التجسد الإلهي عندهم.

يقول القس صموئيل مشرقى مبينا سر ذلك التجسد الإلهي:" نؤمن بأن جوهر اللاهوت لا تدركه الأبصار ولا تراه العيون ولذلك فان كلمة الله الأزلي الأقنوم الثاني، قد أجلى نفسه ونزل من السماء بغير انتقال ولا انفصال وتجسد فظهر اللاهوت في الناسوت حتى لا يستحيل رؤيته تعالى " (٢)

فالتجسد عنده ليعلن الله نفسه للناس حتى لا يستحيل عليهم رؤيته ثم نراه يقول: تجمع الألوهيه بحسب رأي الباحثين في الأديان بين الأضداد المتقابلة فتصف الله تعالى بالتنزيه والتشبيه والباطن والظاهر، والبعيد والقريب أما كيف يكون ذلك فلا جواب له إلا في المسيحية التي تتوافق فيها هذه المتناقضات بحالة لائقة بجلال الله فنراه متجليا في مظاهر متنوعة إلى جانب مانعلنه عنه من تنزيه تام وقد كشف لنا الكتاب المقدس عن أن سبب هذه التجلياب هوعدم استطاعة الخلائق مشاهدة الله بصورة مباشرة لأن كيانه الذاتي المطلق نور فائق اللمعان لا تقوى العيون على رؤيته.

---

(١)المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل صـ ١٥٧

(٢)صموئيل شرقى: سر التجسد الإلهي ١/ ١٢، الطبعة الأولى ١٩٦٤

ويقول أيضا صاحب المسيحية الأصلية إن سبب تجسد الكلمة هو حاجة الناس إلى الله فنراه يقول:" ولكن إذا أراد الإنسان أن يعرف الله شخصيا وأن ينال غفران خطاياه وأن يدخل في شركة وعلاقة مع الله ــ ظهرت حاجته أكثر إلى إعلان عملي حبي وأن ما يحتاج إليه الأنسان هو أن يكشف الله له نفسه لاسيما في قداسته وحبته وقدرته على الخلاص من الخطيئة وقد سر الله أن يفعل ذلك وبهذه الوسيلة وصلت " كلمة الله " إلى أنبياء كثيرين إلى أن جاء يسوع أخيرا والكلمة صارجسدا وحل بيننا."(١) (يوحنا١:١، ١٤)

ومن هذا الأقوال وضح لنا أن سبب تجسد الكلمة هو إعلان الله نفسه للبشر حتى لايستحيل عليهم رؤيته وأن ما ظهر الله به قبلا من تجليات في العهد القديم كانت هي التمهيد للتجسد الإلهي حتى يؤمن به البشر دون أن يبحثوا في سر ذلك التجسد وكيفيته لأنه سر من الأسرار التي لا تدركها العقول!

كما أن ظهور الله في جسد يقلل من شأنه وهيته لدى البشر إذ أن البشر دائما يتطلعون إلى الله الكبير المتعال من وراء ما يظهر لهم من عجائب الكون ونظامه وتدبيره بمشاعر الخضوع والولاء فما بالك لو ظهر لهم الله، وعايشهم وفعل مثل أفعالهم من الأكل والشرب والنوم وغيره. هل يؤدي ذلك إلى تعظيمهم له وولائهم لأوامره؟ كلا بل إن ذلك ينقص شأنه وقدره إذا كيف يكون إله الإنسان مثله يفعل ما يفعله إن هذا يكون مدعاة لإنكاره والاستهزاء به عن أن يكون إله وذلك يكون نقص للاله وليس كمالا كما تدعون.

ولقد حدثنا القرآن الكريم عن عجب قريش ودهشتهم من أن يكون رسولهم من عند الله بشرا مثلهم على الرغم من أمانته ونزاهته ومكارم أخلاقه ومعجزاته عندما قال لهم محمد ﷺ إني رسول من رب العالمين فقال تعالى ما ورد على لسانهم: ــ

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَ هُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَنَ قَالُواْ أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾

" وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟

لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا؟

---

(١) ج. ر. و ستوت :المسيحية الأصلية صـــ ١٠، تعريب القس ريد زخاري

فهم يرفضونه رسولا لأنه يعايشهم ويفعل ما يفعلون ويريدون ملكا من السماء معه لكي يؤمنوا برسالته. إذ قال تعالى: ﴿ بلْ عَجِبُواْ أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾(١)، ﴿فَقَالُواْ أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ (٢)

فهنا تعجبت قريش من كون الرسول بشرا مثلهم؛إذ كيف ينزل الله إنسانا يخاطبهم موحى إليه بشرا مثلهم إن ذلك في نظرهم ينقص شأن الله ولا يليق بجلاله لذلك كان مع الرسول معجزات سماية تؤيدهم في رسالتهم بأنهم رسل من عند الله وعلى الرغم من ذلك. كانوا يريدون ملكا مع الرسول حتى يؤمنوا به.

فكيف إذا كان الله ذاته هو ذلك الانسان الذي يمشي بين الناس يفعل ما يفعلون ويخضع لظروف الحياة وأحوالها. هل يصدق الانسان هذه الدعوى التي يدعيها هذا الانسان القائل بأنه الله؟

قضية تجسد الكلمة في التوراة والإنجيل:

أولا: التوراة وقضية تجسد الكلمة:

إن الكتاب المقدس " العهد القديم " هو كتاب اليهود المقدس ــ عندهم ــ ونحن نعلم أن اليهود كانوا ينتظرون المسيح الذي يأتي لتخليصهم من العذاب والاضطهاد الذى وقع عليهم فالريات التي تتكلم عنه في التوراة أخذها النصارى وأعتبروها عن المسيح المنزل عليهم في زعمهم وأولوها بما يتفق مع مذهبهم.

ونذكر بعض هذه النصوص من العهد القديم التي استشهد بها النصارى علي تجسد الكلمة وجعلوها مدخلا للايمان بألوهية المسيح:

١- " سجل داود النبي " ١٠٠٠ ق. م " في مزمور ٤٠: ٦: ٧ خطايا وجهه إلى الله في أقنوم الابن بصفته الناسوتيه التي كان عتيدا أن يظهر بها في العالم كما قال النصارى.

جاء فيه

- ذبيحة وتقدمة لم تسر
- أذني فتحت
- محرقة ذبيحة خطية لم تطلب

---

(١)سورة ق: ٢

(٢)سورة القمر: ٢٤

- حينئذ قلت: ها أنذا جئت
- بدرج الكتاب مكتوب عني أن أفعل مشيئتك يا إلهي
- سررت!

ويعلق الأستاذ عوض سمعان على هذه المناجاة التي ناجى بها داود ربه فيقول: ــ " وقد اقتبس هذه الآية كاتب الرسالة إلى العبرانيين " بولس " سنة ٧٠ م فقال " بالوحي " لا يمكن دم نيران وتيوس يرفع خطايا، ولذلك عند دخول المسيح إلى العالم يقول " مخاطبا الله الآب ":

ذبيحة وقربانا لم ترد، ولكن هيأت لي جسدا لأن بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر، ثم قلت: ها أنذا أخيء، لأنه في درج الكتاب مكتوب عني لأفعل مشيئتك يا الله " (١)

وهذا القول لعوض سمعان يوضح أن المقصود هنا بالخطاب الناسوتى قال لله مخاطبا أنه بالذبيحة والمحرقات لن تسر بالله ولم يغفر خطايا البشر فها أنذا أجيء لأنه مكتوب في درج الكتاب عني أن أفعل مشيئة الله

أي أن داود كان يخاطب المسيح الناسوتي وأنه سر لرؤيته الإله يتجسد في شخص المسيح ويصلب لغفران خطيئة البشر.

الأناجيل وقضية تجسد الكلمة:

بعد الإطلاع على الأناجيل وجدت أنه لم يرد شيء فيها عن تجسد الكلمة إلا ما ذكر في مطلع انجيل (يوحنا) الذي كتب خصيصا لهذا الغرض وهو إثبات أهمية المسيح إذ أن كاتب هذا الإنجيل يضع نصب عينيه قضية إثبات ألوهية المسيح ويريد أن يقيم لها حيثياتها من حياة المسيح متخذا إنجيله عرضا للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية باعتباره كلمة الله وخالق العالم ومنقذ البشرية فقال في إنجيله: ــ

" في البدء كان الكلمة..... والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله والكلمة صار جسدا وحل بيننا " (٢).

هذا هو النص المستدل به من الإنجيل هذا على تجسد الكلمة وبنظرة فاحصة إلى هذا النص نجد فيه تناقص غريب واضح فيه كل الوضوح إذ أنه يبدأ بقوله " في البدء كان

---

(١) عوض سمعان :الله طرق إعلانه عن ذاته ، صـ ٣٣

(٢) يوحنا :١:١

الكلمة " أي بدء يقصد؟ هل هو بدء زمني، فإن كان كذلك فقد جعل لله بــدء زمنــا وهــو سبحانه وتعالى منزه عن ذلك إذ أنه سبحانه لا ابتداء له ولا يجده زمان ولا مكان ثم قــال والكلمة كان عند الله فماذا يقصد بالعندية هنا إذ أن العندية تقتضي المغايرة لأنها عبــارة عن حصول شيء كحصول المال عند زيد فالمال غير زيد.

ونرى ول ديورنت يقول: " ولم يقل المسيح في الأناجيل الثلاثة المتــشابهة ــ متــى ومرقس ولوقا ــ إنه هو والآب إله واحد أو يسوي نفسه به فقد سأل أحد أتباعــه. لمــاذا تدعوني صالحا؟ وليس أحد صالحا إلا واحدا وهو الله وقال وهو يصلي فــي (جــشماني) مناجيا ربه ــ ليكن لا ما أريد، بل ما تريد أنت " (١)

**القرآن وقضية تجسد الكلمة:**

لقد حاول المسحيون أن يجدوا من القرآن الكريم نصوصا تؤيد قولهم بتجسد الكلمــة وتدل على صحته فاستدلوا بقوله تعالى في سورة آل عمران:﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِــي الــدُّنْيَا وَالأَخِــرَةِ وَمِــنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٢)

قوله تعالى:﴿ وكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * يَا أَهْلَ الْكِتَبِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَتَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْــهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَــهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً ﴾ (٣)

يقول إبراهيم لوقا:فالقرآن يدعوا المسيح كلمة لله والإنجيل يقول إنه كلمة الله بما ذكر في إنجيل يوحنا، فاعتراف القرآن بأن المسيح كلمة الله إقرار صريح منه بلاهوت المسيح ومصادقة منه للمسيحية على اعتقادها فيه.

فالآياتان صريحتان في القول بأن كلمة الله التي ألقاها إلى مريم ليــستا لفظــا يقــرع الأسماع ثم يذهب مع الريح بعد أن يدل على معنى يريده المتكلم، بل تصرحان بأن الكلمة شيء له قيومية في ذاته على حد ما أبان الإنجيل الطاهر.

---

(١) ول ديورنت:قصه الحضارة ،١١ / ٢٠٨

(٢)سورة آل عمران: ٤٥

(٣)سورة النساء: ١٧٠-١٧١

إذ القرآن بقوله: " كلمة منه اسمه " فهو لم يقل اسمها مع أن الكلمة مؤنث دلالة على أن هذه الكلمة ليست لفظ، بل شيء قائم بذاته، إذ لو كان المقصود من الكلمة اللفظ لعاد الضمير عليه مؤنثا، أما وقد عاد الضمير عليه منكرا فهذا دليل على أن المقصود ليس اللفظ بل مسمى " اسمه المسيح عيسى ابن مريم ".

ويقول أيضا: لو لم يكن المسيح هو ذات كلمة الله وكان موجودا بأمر الكلمة فقط كما يدعون (أي المسلمون) لما كان هناك ما يدعو إلى ذكر لفظة منه للدلالة على صدوره من الله رأسا لأنه لوصح هذا الزعيم لما كان المسيح " منه " أي من الله لأضحى مخلوقا من العدم وهذا يناقض قول الآيتين السابقتين.

تمايز وبينه وبين سائر المخلوقات التي خلقت بأمره تعالى، وللزم أن نطلق لفظ (كلمة الله) على كل هذه المخلوقات، لأنها خلقت بأمر تعالي، وللزم أن نطلق لفظ " كلمة الله " على كل هذه المخلوقات، لأنها خلقت قاطبة بقوة كلمته تعالى وليس ذلك من الصواب في قليل أو كثير ولوصح لما قام لوصف المسيح في القرآن بكلمة الله معنى يميزه عن الخلق الذين وجدوا بقوة كلمته له المجد الدائم.

وإذا فالقرآن أقر لنا بلاهوت المسيح بدعوته إياه " كلمة الله " ومن الأمور البديهية أن يكون في الولد شيء من طبيعة أمه وأبيه وبما أن المسيح هو كلمة الله، وله جوهر الله تعالى، وقد حل في العذراء مريم فهو إذا يشاركها في إنسانيتها وطبيعتها البشرية ومن ثم حمل القرآن على المسيح ما هو خاص بذات الله تعالى وما هو خاص بالإنسان " (١)

فهنا يدعي إبراهيم لوقا أن قول القرآن للمسيح بأنه كلمة الله يؤيد وصف الإنجيل عنه بأنه كلمة الله ممل يدل على تأييد القرآن للاهوت المسيح الذي يقره النصارى وأن معنى الكلمة في القرآن عنده ليس هو أمر الله تعالى الذي إذا أراد شيئا فإن يقول له كن فيكون فذلك عنده لايميز المسيح عن غيره من مخلوقات الله ولا يكون هناك ما يدعو إلى قوله (منه) إذ ذلك يوضح أن المسيح هو ذات كلمة الله.

ولكن القرآن الكريم مما يقول هولاء براء فهو لم يصف المسيح بأكثر من أنه رسول يدعو ما أمره الله به ولم يثبت له مما يقولون به شيء.

ونذكر آراء المفسرين في كون المسيح (كلمة الله) يقول صاحب روح المعاني: —

---

(١) إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام: صـــ ١٠٦: ١١٠

" أما عن كونه كلمة الله فلأنه حصل بكلمة كن من غير عادة معتادة وإلى ذلك ذهب الحسن وقتادة الغزالي قدس سره بكل مولود سبب قريب وبعيد. فالأول المني والثاني قول كن. ولما دل الدليل على عدم القريب في حق عيسى ـ عليه السلام ـ إضافة إلى البعيد. وهو قول كن إشارة إلى انتفاء القريب وأوضحه بقوله سبحانه ألقاها إلى مريم أى أوصلها إليها وجعلها كالمني الذي يلقى في الرحم فهو استعارة.

وقيل معناه أنه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى وروي ذلك عن أبي علي الجبائي. قبل معناه بشارة الله تعالى التي بشر بها مريم عليها السلام ـ على لسان الملائكة كما قال سبحانه: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة) (١) (٢)

ومن ذلك نرى أن المفسرين قد وضحوا أن كون المسيح كلمة الله اما أن يكون هو خلقه بكلمة (كن) وأن كونه كلمته تعالى من باب الاستعارة كما يقال في الكريم أنه الكرم وذلك وارد عند علماء اللغة.

وأما أنه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله، ولم يقل أحد مطلقا أنه ذات كلمة الله كما قال النصارى أصحاب التجسد بذلك.

أما قوله تعالى (روح منه) فالروح قد قيل في معناها آراء كثيرة هي:

١-أنه ـ عليه السلام ـ سمي روحا لأنه حدث على نفخة جبريل ـ عليه السلام ـ في درع مريم - رضى الله عنها - بأمره سبحانه وتعالى.

٢-قيل إن (روح منا) بمعنى الرحمة كما في قوله تعالى ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾.

٣-وقيل أريد بالروح الوحي الذي أوحى إلى مريم رضى الله عنها بالبشارة.

٤-وقيل جرت العادة بأنهم إذا أراه واوصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا إنه روح فلما كان عيسى ـ عليه السلام ـ متكونا من النفخ لا عن النطفة وصف بالروح.

٥-وقيل أريد بالروح السر كما يقال روح هذه المسألة كذا أي أنه ـ عليه السلام ـ سر من أسرار الله تعالى وآية من آياته سبحانه.

ومن هنا ندرك أن معنى الروح هنا هو الوحي من الله سبحانه وتعالى وسر من أسراره يوحى به عن طريق جبريل " ويسألونك عن الروح من أمر ربي "

---

(١)سورة آل عمران: ٤٥

(٢)روح المعاني، ٦/ ٢٢، التفسير الكبير ٨/ ٤٩ـ٥١

أما عن قولهم بأن وصف القرآن للمسيح على أنه كلمة الله إنه يعني بذلك لاهوت المسيح وأنه ذات الكلمة وذات الله فذلك باطل لأن الكلمة المذكورة في القرآن هي أمر الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ويدل على ذلك قوله تعالى: ــ

﴿ إِذ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١)

وهكذا حديثنا القرآن الكريم عن بشارة مريم بوليدها وتعجبها من أن يكون لها ولم يمسسها بشر، بأن جبريل قال لها ذلك بأمر الله وشيئته إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

أما كونه إذا كان مخلوقا بأمر الله لايكن هناك ميزة تميزه عن سائر المخلوقات فذلك قول باطل. إذا الكسيح بشر مثل سائر البشر خلق بكلمة (كن) وإن كان يتميز عنهم في اختصاصه بالنبوة والرسالة، أما كونه خلق بدون أب فهذه آية من آياته التي أيده الله بما في رسالته ومعجزة من معجزات الله سبحانه وتعالى فهو الذى خلق آدم من تراب بدون أب أوأم بل من جماد، وخلق حواء من ضلع آدم بدون أم، ولم يكن آدم أو حواء ذات الله أو ذات كلمته التي خلقهما بها وهي قوله (كن) كما يدعي هؤلاء على المسيح، إذ لو كان خلق المسيح بدون أب هو سبب الوهيته فأن آدم أحق لخلقه من تراب بدون أب أو أم، ولكانت حواء أيضا أحق بذلك لأنها خلقت بدون أم بل من ضلع رجل إذ المسيح لم يكن أغرب مخلوق لله بل هناك ما هو أغرب منه ولم يكونوا آلهة وهو سبحانه قادر على كل شيء فبطل اعاؤهم هذا.

فقضية تجسد الكلمة هذه باطلة، لا يؤيدها نقل ولاعقل. وصف الله العظيم حيث يقول:

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنَ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٢)

---

(١)سورة آل عمران: ٤٥-٤٧

(٢)سورة مريم: ٣٤

## الخاتمة

وبعد..

فهذا جهد المقل،فإذا كنت قد وفيت على الغاية ، فهذا من فضل الله ، وأن كنت قد قصرت فمن نفسي ، وأسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة وأختم هذا البحث المتواضع بهذه النتائج:

١-لاشك أن الاختلاف في أمر لا يحتمل الاختلاف – كالنسب لنبي ذائع الصيت كالمسيح – ﷺ – لا سيما وقد ألهه أصحاب هذا الاختلاف وهو ﷺ بريء من فريتهم – أمر محير يستدرك الشك حتى عند أكبر المتعصبين حتى لا يجدون أمام هذه المعضلة – التي تكفي لعدم ضلا تهم كلها – إلا العناد والمغالطة، لا سيما وأن مصدر هذا الاختلاف هو كتبهم – المقدسة لديهم التي يدعون أنها كتبت بإلهام كان يتنزل على كاتبيها، وهي أساس عقيدتهم ومرتكز ملتهم،وقد أصبحوا بها أمام أمرين: إما أن ألا يكون إنجيل( متى ) معروفا ؛ وإما أن يكون موجودا يعرفه لوقا ولكن لايعترف به مصدرا صادق الرواية.

٢-في عقيدة اليهود المسيح جاء على نحو ماجاءت به البشرية من التقاء رجل بامرأة، لكنه في غير زواج شرعي فهو في نظرهم والعياذ بالله ابن زنا وأمه رضي الله عنها مرتكبة لجريمة الزنا .

في عقيدة النصارى المسيح لم يكن من البشر وأنه هو كلمة الله نفسها؛ ولما كانت الكلمة في تقديرهم هي جزء المتكلم فعيسى إذا ابن الله.

فاليهود فرطوا والنصارى أفرطوا , وجاء الإسلام فبين العقيدة الحقة في قضية ميلاد المسيح ﷺ فقال أنه عبد الله ورسوله وأنه كان بكلمة الله وأن ميلاده كان بكلمة ( كن) التي كان بها كل شيء خلقه الله وأنه لم يتميز على مخلوقات الله البشرية بهذا الميلاد العذري فالخلق هو الله وقد يتعطل السبب العادي ويوجد المسبب لأن الخالق هوالله سبحانه وتعالى عن الأسباب بل هو سبحانه الموجد للأسباب والمسببات.

٣-يعتقد النصارى بقضايا الحلول والإتحاد والتجسد فهم يروا أن الكلمة نفسها تجسدت فكانت اليسوع , ومن هنا نادوا ببنوته وألوهيته- تعالى الله عما يقلون علوا كبيرا- يقول

لوقا في إنجيلله إن الملاك وهو يخاطب مريم ويرد عليها في تساؤلها:"الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابـــن الله" (١)؛ ويقــول أيضا في معرض حديثه عن اليصابات أنها قلت حين دخلت عليها مــريم – رضـــي الله عنها-:" فمن أين لى هذا أن تأتي أم ربي إلي"(٢).

رفض الإسلام هذة القضية رفضا قاطعا وبين أنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلـــى مريم وروح منه ، وحكم على القائلين بألوهيته وبنوته لله وما ينسحب عليه من قــضاياً الحلول والإتحاد والتجسد بالكفر في الدنيا وتوعدهم بالعقاب في الآخرة

---

(١) انجيل لوقا ،١:٣٥

(٢) انجيل لوقا ،١:٤٣

المصادر والمراجع:


- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس – طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق ١٩٨٨م القاهرة .
- إنجيل برنابا ترجمة د/ خليل سعادة ـــ طبعة ١٩٠٨ / المطبعة التوفيقية/ القاهرة .
- إنجيل متى
- إنجيل لوقا
- إنجيل مرقس
- إنجيل يوحنا
- كتب العهد القديم
- الألوسي:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثـاني ،دار إحيـاء التـراث العربي، بيروت ، لبنان، ب.ت .
- النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، دار المعرفة، لبنان ، ب.ت.
- ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة.
- أحمد شلبي: مقارنة الأديان.. المسيحية, مكتبة النهضة المصرية، ط٤، القاهرة ١٩٧٣.
- محمد أبو زهرة (الشيخ): محاضرات في النصرانية، مطبعـة يوسـف،ط٣، القـاهرة ١٩٨٥ .
- الجويني(الإمام): الشامل في أصول الدين،حققه علي سامي النشار وسهير مختار وفيصل بدير ، منشأة المعارف : الاسكندرية ١٩٦٩
- محمود محمد مزروعه: دراسات في النصرانية.
- جورج نوار: أضواء من مقدمات الكتاب المقدس، الكنيسة الإنجيلية بقصر الـدوبارة ، القاهرة ١٩٩٢.
- عبد السلام محمد عبده:قضية الدين مع مسيرة الفكر الإنساني،مطبعة لطفـي ، القـاهرة ١٩٧٨.
- لويس برسوم الفرنسيكاني :حياة يسوع المسيح ،المعهـد الأكليريكـي الفرنسيـسكاني الشرقي، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، القاهرة،١٩٨٠.
- الرازي : التفسير الكبير، دار إحياء التراث، العربي ، بيروت ، لبنان ، ب.ت..
- رحمة الله الهندي :إظهار الحق ، تحقيق د/ محمد أحمد ملكـاوي ،الطبعـة الثانيـة ، الرئاسة العامة للإدارة والبحوث بالرياض، السعودية ١٩٩٢م.

- الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان .
- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت ,ب,ت.
- الشوكاني:فتح التدير،دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.
- عبد الجبار بن أحمد( القاضي): شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٨٣
- عباس محمود العقاد(الأستاذ):حياة المسيح عيسى بن مريم:دار الكتاب العربي ، بيروت، بدون تاريخ.
- القرطبي( الإمام ):الإعلام ، دار التراث ، القاهرة١٩٨٠ .
- محمد عزت الطهطاوي( المستشار): النصرانية والإسلام ،دار الأنصار،القاهرة١٩٨١م.
- أحمد حجازي السقا: أقانيم النصارى، دار الأنصار, القاهرة ١٩٨١.
- عبد السلام محمد عبده: المسيحية في ضوءالفكرالإسلامي ،الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٨
- ابن منظور :لسان العرب،دار بيروت للطباعة والنشر١٩٥٦.
- ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران ، الطبعة الثانيةالقاهرة.
- حبيب سعيد:أديان العالم :معهد الدراسات الشرقية الفرنسيسكان ، القاهرة ١٩٥٩.
- كيرلس الكبير: التجسد الإلهي، دير الأنبا مقار،القاهرة ١٩٤٣.
- أثناثيوس الرسولي: تجسد الكلمة،تعريب مرقس داود، دار التأليف والنشر بالأسقفية الكنسية، القاهرة١٩٧٦.
- صموئيل المشرقي: سر التجسد الإلهي ,القاهرة ,ب,ت.
- يسي منصور: رسالة التثليث والتوحيد ، معهد الدراسات الشرقية الفرنسيسكان، القاهرة ١٩٦٥.
- إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة،القاهرة ١٩٨٣.